كتاب الدوحة

إلياس أبو شبكة

"العصفور الصغير"

مختارات شعرية



إلياس أبو شبكة

"العصفور الصغير"

مختارات شعرية

يوزع مجاناً مع العدد 86 من مجلة الدوحة ديسمبر 2014

إلياس أبو شبكة

"العصفور الصغير"

مختارات شعرية

الناشر :
وزارة الثقافة والفنون والتراث - دولة قطر
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية :
الترقيم الدولي (ردمك) :

التصميم والإخراج : علاء الألفي - مجلة الدوحة

المواد المنشورة في الكتاب تُعبِّر عن آراء كتّابها ولا تُعبِّر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

الفهرس

مقدمة 4

"في حديث الشعر" 17

الثورة العظمى 30

غرفة الحزن 32

حين أراكِ 33

صرت أخشى 34

جرس الحزن 35

عهدان 36

صلاة المغيب 37

أنتِ لي 38

أنتِ أم أنا؟ 39

أعذبُ الشِعْر 40

شقوة الهوى 41

العذاب الحي 42

ذَوَّبتُ قلبي 44

التجلّي 46

الرؤيا (مقاطع) 48

القاذورة 50

هذه الكائنات 56

لولاكِ 57

دعيني أموت 58

لا ترحم 59

الحزن والجمال 60

يا بلادي 62

العمر قصر 64

سعادُ 65

مركز القلب 66

أيُّها الظلم 68

الطير السجين 72

بلَغَتْ بهم الحدَّة 76

هذه الدنيا سآمة 80

شريعة الأيام 81

اِنفِ عنك الأحزان 82

أيُّها القلب 83

مقدّمة

لا يزال الشاعر اللبناني إلياس أبو شبكة (1903-1947) حاضراً بقوّة في المشهد الشعري العربي، النهضوي والحديث، على رغم مرور سبعة وستين عاماً على رحيله، بل هو يزداد حضوراً أكثر فأكثر، بصفته شاعراً رائداً، جمع بين النزعة الرومنطيقية والمدرسة الرمزية، بين الصوفية والتجربة الشهوية المشبعة باللعنة والنزق. ولعلّه من القلائل في عصره، عصر المنحنى الثاني للنهضة، الذين شهدوا ولادة الملامح الأولى للحداثة، فقد عاش حالاً من الصراع الوجودي - الوجداني، الداخلي والميتافيزيقي، ونجح في جعله المنطَلق الأول لبناء عالمه الشعري.

لم يتسنّ للشاعر إلياس أبو شبكة أن يعيش أكثر من أربعة وأربعين عاماً. لكنّ حياته القصيرة التي عاشها مضطرباً وقلِقاً كانت أهمّ وأعمق من أي حياة، فهي كانت حافلةً بالمآسي والقصائد والمواقف الجريئة والسجالات. كان شاعرنا على عجلةٍ من كل أمر: على عجلة من الكتابة، ومن الحبّ، ومن الحياة نفسها. وكان استهلَّ «عهده» الشعري ساخطاً على الحياة متمنّياً الموت بعدما لمسه بيديه وروحه

بموت أبيه في الغربة. وراح منذ سنوات الفتوّة الأليمة يبحث عن صورة الأب المفقودة بحثه عن مثالٍ ضائعٍ لم يستطع أن يجده، حتى وإن توهّم، في أحيان، أنّه استطاع أن يجدّده. وعلى فراش الاحتضار الأخير لم يكن له إلا أن يصف نفسه بـ«العصفور الصغير» الذي «طار، طار وهبط»، ويضيف تحت وطأة مخامرة الموت: «ما يستطيع عصفور صغير؟». والكلمات الأخيرة التي لفظها الشاعر هاذياً قد تختصر شخصاً بكامله، بل حياةً بكاملها. فالشاعر الذي كان طول حياته فريسةَ هواجسه الدينية ونزواته وآثامه، بدا في لحظاته الأخيرة ضحيّة تلك الحرّية الذاتية التي كثيراً ما سمحت له أن ينقم على الحياة.

مات إلياس أبو شبكة بحرّية، بحرّية الضعفاء لا الأقوياء، حرّية الضحية لا الجزّار.

وربّما أجمل ما في هذا الشاعر الأنوف والمتجهّم والناقم إلى حدّ كبير والمتمرّد والمعترض والنزق والمنفعل والمتوتّر هو وجهه الآخر، وجهه المختلف الذي طالما توارى في دخيلته، وجه الشاعر الرقيق والضعيف والمؤمن والطفل والحالم والمعترف بآثامه. ولم يكن تناقض أبو شبكة مفتعَلاً ولا مصطنَعاً، بل مثَّلَ تناقضه حقيقة روحه وجوهر تجربته. ومراحله الشعرية المتقلّبة كالفصول خير دليلٍ على عدم استقراره وعلى قلقه الكبير الذي حرمه الطمأنينة حتى في أصفى أوقات الحبّ والنشوة والإيمان. ولا أخال الشاعر ينقض نفسه من مرحلة إلى أخرى أو من ديوان إلى ديوان؛ فهو سليل التجربة الداخلية، سليل الشعراء الملعونين، بل رائدهم في

الحركة الشعرية اللبنانية والحركة الشعرية العربية. والشاعر الساخط والمتمرّد على الواقع وما وراءه،لم يستطع أن يتكيّف مع نفسه ومع حبّه، ومع مجتمعه، فظلّ حائراً ومتردِّداً لا يشفيه ألمه، ولا يكفيه إيمانه العميق. فإذا هو شاعر اللذّة والحرمان، شاعر النعمة والإثم، شاعر اللعنة والغفران، شاعر الألم بامتياز، شاعر النزوات والشهوات، يصون الفحشاء من عبث الماجنين، محتمياً بروح إيمانية لا تعرف الشكّ، وإن لم يعترِ أبو شبكة أي قبسٍ من شكٍّ وإلحاد، فهو لم يكن شاعر الطمأنينة واليقين حتى وإن بدا إيمانه، في أحيان، شبه «طفولي» وبريئاً كل البراءة. إيمانه إيمان من يدرك في قرارته أن التوبة لا تحلّ إلا بعد المعصية، وأن الملاك لا يصعد إلا من أديم التجربة. وربمّا أصاب الشاعر يوسف غصوب حين أشار إلى «اللون القاتم» الذي استقلّ به أبو شبكة في «أفاعي الفردوس»؛ فهذا اللون السوداوي والكامد لم يعرفه الشعر العربي في لبنان والعالم العربي كلّ المعرفة، وقد تجلّى في بعض قصائد أبو شبكة كموقف وجداني ووجودي من العالم والحياة والبارئ. وهو -ربّما- أثر بودلير الضئيل والواهي عليه، وقد فتح أمامه أفق «اللعنة»، وغمّس شعره في الماء الآسن، ماء الشرّ والسخط.

إلا أن «أبو شبكة» لم ينهج نهج بودلير «الرمزي» ولم يقرأه كفاية (على ما شهد به البعض)، إذ اختطفته الروح الرومانسية الفرنسية المتجلّية في أعمال شعرائها الكبار من مثل ألفرد دو فيني، ولامارتين، وألفرد دو موسيه... على أنه قرأ أيضاً بعض الرومانسيين الألمان والإنكليز من غير أن يتعمّق في رؤاهم ومواقفهم. ولئن

أزهر فردوس أبو شبكة «أفاعي» على غرار (أو على عكس) الشرّ الذي أنبت لدى بودلير «أزهاراً»، ولئن غنّى أبو شبكة «القاذورة» و«هيكل الشهوات» و«سادوم» و«دليلة»، فهو لم يستطع أن يجاري بودلير في «لعنته» وفي تمجيده للشرّ وتغنّيه بـ «الجثة» والإثم والشهوة. فالشاعر الفرنسي غاص في عمق الشرّ، ليرقى به إلى مصاف النعمة، وليحرّره من كونه نقيضاً للخير. كما كان جريئاً جدّاً في مواجهة الموت وتعرية النفس من أدرانها رافضاً فكرة الضحية. وربما استوحى أبو شبكة عنوان ديوانه الرائع من جملة في قصيدة شهيرة لبودلير يقول فيها على لسان الأم الناقمة على وليدها: «آهٍ لو أنني وضعت حزمة من الأفاعي». والوليد ليس سوى «الشاعر» الذي لا يلبث أن تسمّيه الأم بـ«الحثالة». والقضية ليست في كون شاعرنا قرأ بودلير وتأثّر به، أو لم يقرأه جيداً، بل في كونه أول من رسّخ تجربة «اللعنة» في الشعر العربي المعاصر، وبخاصة في مرحلة الثلاثينات حين كان الشعراء يحيون صراع التقليد والتجديد، ويشاركون في نقاشٍ مستميتٍ حول الشكل والمضمون، وحول الغموض والوضوح، والصنعة والإلهام. ولم يكن هؤلاء في معظمهم تحرّروا كلّيّاً من وطأة «المناسبات» الشعرية والوصف والقضايا الجاهزة وكذلك من النزعة الكلاسيكية الجديدة التي أَوْلَت الشكل أهمّيّة قصوى.

أطلّ أبو شبكة في قصائده اللعينة ليعلن عهداً شعرياً جديداً هو عهد التجربة الداخلية، عهد النزق الشعري والإثم والشرّ والسخط. وهذه الموضوعات غالباً ما تحاشاها الشعراء، ورذّلها الشعر نفسه.

يحتلّ ديوان «أفاعي الفردوس» موقعاً متقدِّماً في الحركة الشعرية اللبنانية والحركة الشعبية العربية المعاصرتين، ويمثّل ذروة عالم «أبو شبكة» الشعري ومنتهى تجربته الروحية وصراعه مع نفسه ومع نزعاته المتناقضة، بل هو خلاصة الدواوين التي سبقته وتوالت من بعده. فالنفحة الغنائية التي تجلّت في «القيثارة» ليست غريبة عنه، والنزعة الوجدانية التي حفلت بها قصيدته الطويلة «غلواء» تتخلّل قصائده، وكذلك الحنين إلى الطبيعة الذي تفجَّر في «الألحان» وفردوسيّة «نداء القلب»... كأنّ «أفاعي الفردوس» يختصر المراحل التي اجتازها الشاعر على مستويات مختلفة: الرؤية، والموقف، واللغة، والنسيج الغنائي. فنضج التجربة على نار المعاناة والألم، لازمه نضجٌ بياني ولغوي وشعري، فإذا القصائد تنفض عن نفسها ركاكة البدايات، وتنصهر في صنيع يجمع بين الطلاوة والشفافية، بين الرقّة والتوتُّر، بين الرهافة والعنف. وكم وجدت بعض قصائد الشاعر الأولى وأبياته صداها في «أفاعي الفردوس»! حتى ليخيّل إلى القارئ أن ما تبيّنه في الدواوين السابقة، يقرأه الآن في حالة من التجلّي على الرغم ممّا يكدّره من آثام وشهوات. ولئن رحّب البعض بالديوان وأغرقوا في مدحه، فإن البعض سخطوا عليه وانتقدوا صاحبه: فميخائيل نعيمة وجد فيه «تحفة نادرة في شعرنا العربي»، وفؤاد سليمان دعا القارئ إلى قراءته ليؤمن أن «إلياس أبو شبكة يخيّم بجناحيه على الشعراء الأقزام». وحين صدر الديوان في طبعته الأولى عام 1938 (وكانت قصائده نشرت بدءاً من 1928) سرعان ما أُطلِق على «أبو شبكة» لقب «بودلير لبنان» مثلما أُطلِق -في الحقبة نفسها- على سعيد عقل لقب «فاليري لبنان». إلا أن

الأب رفائيل نخلة اليسوعي الناقد المعروف لم يستطع استيعاب التجربة الجديدة، ورأى أن وراءها «كفراً مطلقاً وسفالة حيوانية». وفي مجلة «المشرق» وصف ناقد آخر الكتاب بأنه «هدير شهوة صاخبة ملحاح يتفجّر هنا وهناك، إما عربدة حمراء وإما خزياً قذراً».

اتُّهم ديوان «أفاعي الفردوس»-إذاً- بما يناقضه من تُهَم: كالمجون واللاأخلاقية والكفر. علماً أن الشاعر المسيحي والمؤمن (وصفه ميخائيل نعيمة كيف كان يصلّي ليلاً في سريره) لم يفضح الشرّ والرذيلة والخطيئة إلا ليتخطّاها ويتجاوزها نحو حالة الغفران، فالحقيقة لا يُظهرها إلا ضدّها، والإثم لا يمحوه إلا الندم. وكان «أفاعي الفردوس» بمثابة المطهر الذي مَرَّ به شاعرنا، لينقّيه من أدرانه وآثامه وشروره. وفي المطهر اعترف بما اقترف، وفَضَح خفايا طويَّته، وباح بخطاياه.

تكمن شاعرية إلياس أبو شبكة في المناخ السوداوي الذي أرساه في الشعر العربي، وكان لا يزال يشهد صراعاً بين الكلاسيكية القديمة والكلاسيكية الجديدة من غير أن يخرج على الأنماط التقليدية كلّيّاً. راح شاعر «الأفاعي» يشرّع القصيدة على أفقٍ غير معهود، معرّياً «النفس» بجرأة، نافذاً إلى أعماقها وأسرارها. ودعوته الشاعرَ إلى «النظر في قرارة نفسه»، خلال الكتابة كانت بداية لثورة جديدة في الشعر لن تلبث أن تستمر لاحقاً مع بعض الشعراء الذين جايلوه، وأن تترسَّخ وتنصهر، من ثَمَّ، في مطلع الستينات. كان أبو شبكة سبّاقاً إلى جعل «النفس» منبعاً للإلهام، و«القلب» مصدراً للاستيحاء. ومعه لم يبق الشعر سليماً ومعافًى، بل غرق في الدم والألم؛ فهو

ثمرة تجربة مريرة ومعاناة ومكابدة، وليس مجرّد صنعة لغوية وحيلة شكلية. أصبح الشعر مع «أبو شبكة» شعر الذات في كلّ ما تحفل به من ضعف وحيرة وخزي وإثم وندم ورفض وعنف ورقّة وإيمان... وأعتقد أن ثورة "أبو شبكة" الشعرية قامت على مستوى التجربة، كي لا أقول المضمون، على عكس الثورة التي قام بها سعيد عقل، وكانت على مستوى البناء والشكل الشعريين. وكان أبو شبكة نفسه قد سعى إلى بناء قصيدته «غلواء» بناءً درامياً، ولم ينجح مقدار ما نجح سعيد عقل في «قدموس» و«بنت يفتاح»، وكذلك حاول في قصيدته «إلى الأبد»، ولم يحقِّق طموحه في إرساء ما سمّي آنذاك «عمارة» شعرية. فالبنية القصصية التي اعتمدها في القصيدتين، لم تكن كافية لتؤلّف ما يشبه «العمارة»، وبخاصة أن السرد قد يُضعف الصنيع الشعري إن لم يسلس له. وأبو شبكة ليس شاعر الحذلقة والهندسة والتركيب، مقدار ما هو شاعر مطبوع وصادق وسوداوي ومتقلّب المزاج. ولئن نجح سعيد عقل في تأسيس «عمارة» شعرية، فإن شاعرنا نجح -أيّما نجاح- في تأسيس مناخ شعري جديد قائم على رؤية مختلفة للشعر وللشاعر.

ليس إلياس أبو شبكة شاعر «الديباجة» ولا شاعر الصقل والاصطناع والمراس، بل شاعر العفوية والنضارة والألق واللوعة والصدق. والشعر -بحسبه- «كائن حَيّ» يتأثّر ويضعف ويتوتّر ويرقّ، إنه لغة الروح ولغة الحسّ الوجداني العميق، أما الشاعر فوسيط «للقدرة الخارقة» التي تؤثِّر في النفس، وتخلق فيها حالة إشراق ونقاء. والشعر في -نظره- «ينزل مرتدياً ثوبه الكامل»، والثوب لا ينفصل

عن الشعور. ولا أخال شاعراً حرص على موقفه الشعري (لن أقول نظريته) مثلما حرص «أبو شبكة». وخاض في سبيل موقفه معارك جمّة وشرسة في أحيان، وبخاصة مع الشعراء الذين تبنّوا نظرية «بول فاليري» التي شاعت في الأربعينات، ومفادها أن الشاعر إذا آمن بالوحي قتل الإبداع. لم يفهم أبو شبكة الشعر إلا إلهاماً، ولكنّه إلهام مشفوع بذائقة وثقافة، وليس إلهاماً صرفاً، وقدْرَ ما ترقى ثقافة الشاعر يرقى بيانه الشعري، ويرى أبو شبكة أن الشعر الحقيقي يقوم على الفن والنفس والوحدة والصناعة والموضوع. أما عدّة الشاعر في نظره فهي: الذوق، والعقل، والشعور. فهو لم ينفِ عن الصنيع الشعري شروطاً أولى كالوعي والذائقة والثقافة، لكنّه أصرّ -أيضاً- على الإلهام والوحي. فالشاعر ليس نجّاراً أو حدّاداً- كما يعبّر في ردّه على أتباع فاليري- يستطيع أن يُقبل على عمله ساعة يحين موعد العمل. والشعر سليل النّفْس والنَّفَس، هي «المصهر الداخلي الخفي لكلّ ما يحيط بالإنسان»، بل هي القوة التي لم يُدرَكْ كنهها كي تُحدّ.

ولم يفاجئ أبو شبكة قرّاءه حين تحدّث عن «الجمال المحجوب» وعن «الحقيقة الغامضة»، فهو شاعر السويداء والمعاناة والاختبار الروحي. ولم يتوانَ عن الدفاع عن «الألم»، فالشاعر في رؤيته هو مَن يجرح قلبه، ويسقي شعره منه كما يقول في مطلع العهد الثالث من قصيدته الدرامية «غلواء»، وهو أيضاً مَن يغمس قلمه في «قرارة الآلام»؛ فالآلام تطهّر من كلّ رجس، والشقاء سلّم إلى السماء، أما الجرح فهو ينبوع الشعر.

لم يعمد أبو شبكة إلى كتابة نظرية شعرية مستقلّة عن شعره، ولم ينطلق من نظرية جاهزة وسابقة، بل سعى -في كلّ ما كتب من مقالات نظرية- إلى دعم تجربته الشعرية وتوضيح رؤيته للشعر وللصنيع الشعري. ومقدّمته لديوان «أفاعي الفردوس» هي بمثابة البيان الشعري الذي يحمل نظرته ورؤيته، تماماً مثلما حملت مقدّمة سعيد عقل لقصيدته الدرامية «المجدلية»، نظرته المختلفة إلى الشعر والصنيع الشعري. غير أن جرأة إلياس أبو شبكة بلغت شأوها حين رفض حصر الصنيع الشعري في موسيقى الأوزان والقوافي. فالموسيقى -بحسبه- هي «عنصر من الشعر لا كلّه». ومن الخرق الفاضح أن يُقصَر الشعر على موسيقاه؛ إذ إن له عناصر متساوية تجري كلّها مجرًى واحداً فلا «تنحطّ الفكرة عن الموسيقى، أو الصورة عن الفكرة». وتبلغ جرأة الشاعر -أيضاً- مبلغاً حين يدافع عن فحشاء الشاعر الذي يجب عليه ألاّ ينكرها كيلا يتنكّر لنفسه، والنفس -في نظره- « نقية وقذرة، بريئة ومجرمة». والشاعر لا ينشد نفسه إلا «عارية» لا تسترها الأراجيف و«لا يحنّطها الرياء». وكما كان أبو شبكة جريئاً وصادقاً في شعره، كان جريئاً وصادقاً في نظريّته التي لم يألفها عصره، ولم يستسغها، لكن الشاعر السبّاق والرؤيوي كان متقدّماً على عصره وعلى النظريات التي سادته.

وانطلاقاً من مفهوم «النفس العارية» يمكن قراءة مراحل أبو شبكة التي بدت شبه متناقضة ظاهراً، وكذلك قصائده التي تفاوتت بين أقصى العفّة والبراءة، وأقصى الإثم. فما يظنّه القارئ تناقضاً في المواقف ليس إلا إغراقاً في الثنائية الوجودية وجدليّتها؛ فالحياة في

نظر شاعرنا «مزيج من التناقضات»، من الألم واللذة، من الحبّ والبغض، من الصفح والانتقام... والحياة سلسلة من التقلّبات المخيّبة في أحيان، والحقيقة يستحيل عليها أن تكون ثابتة ومطلقة، والبحث عنها لا يخلو من العبث والجهد الضائع والكآبة العميقة. ولم يصرّ أبو شبكة على ضرورة «التشاؤم» في الشعر، إلا ليؤكّد عمق التجربة التي يكابدها الشاعر في مواجهته للحياة وما وراءها. ولا غرابة أن يكون أبو شبكة نفسه -شخصاً وشاعراً- كتلةً من أعصابٍ مشدودة ومتوتّرة، ومن متناقضاتٍ تتآلف حيناً، وتتنافر حيناً. فهو شاعر مثالي، ولكن في حال من الصدام الدائم مع الواقع. وكلّما صدمه الواقع شَعَرَ بالخيبة من إمكان رفعه إلى مصاف مُثُلِه العليا. إلا أنه كان يدمن الهروب من فينة إلى أخرى: الهروب إلى الطبيعة، وإلى الحب النقي والصافي. وهروبه ما كان ليطول، فهو ما إن يغرف من ذينك النبعين، حتى يشعر بالظمأ الداخلي الذي تؤجّجه، في قرارته، نار الشرّ، فيرتدّ ليقع مرّة أخرى في جحيم التجربة. ومَن يقرأ دواوين الشاعر وفق مراحلها الزمنية يدرك أن الشاعر هو نفسه، ولكن في أحوال مختلفة، تظهر وتغيب، لتظهر وتغيب، من ديوان إلى ديوان، ومن مرحلة إلى مرحلة. وفي حين تنضج عدّته الشعرية وتنصقل لغته وتتصفّى، تظلّ تجربته الداخلية في حال من الاشتعال والاحتراق فينتقل من موقع النعمة والخير والحبّ إلى موقع اللعنة والشرّ والشهوة. وهكذا يتجلّى عالمه واحداً على الرغم من التمزُّقات التي تعتريه: فطرة «القيثارة» لا تناقض شهويّة «أفاعي الفردوس»، ولا سذاجة «الألحان» تخالف وَجْديّة «إلى الأبد»؛ فالشاعر المتردّد بين المتناقضات، لا يتردّد عن سرقة

«النار» الملتهبة والقادرة على تطهير النفس من شوائبها.

لم يقترب أبو شبكة من رمزية «بروميثوس» ولا من حلمية «أورفيوس»، حتى وإن سمّى كتابه الأول «القيثارة»، فليس همّه أن يعصي الآلهة، ولا أن يسحرهم في عزفه ليسرق سرّ المعرفة، بل هو يعترف بحرّيته كمخلوق ناقص يسعى إلى كماله عبر ما يمنحه الخالق من فرص سانحة. ولم يتردّد شاعرنا في رفع ابتهالاته إلى خالقه متوسِّلاً توسُّل المؤمنين الضعفاء الذين زادتهم آثامهم إيماناً وتوبة. ولو نظرنا إلى التناقض الذي يجلبه حضور المرأة في شعره، لألفيناه جزءاً من طبيعته المتناقضة. فالمرأة هي ملاك حين يجب أن تكون ملاكاً، وشيطان حين يجب أن تكون شيطاناً. إنّها مثار النعمة والهناءة والرغد حيناً، ومثار الفتنة والشهوة والإثم حيناً آخر. إنّها أفعى تفحّ عن سمّ الخطيئة وهي دليلة التي أغرت شمشون، وأوقعت به، لكنّها أيضاً ليلى وبثينة وعزّة وأرض الميعاد والحبّ المفقود والبراءة المفقودة. وقد خبر أبو شبكة المرأة خبرة الشاعر والمؤمن، خبرة العاشق والخاطئ، وأوغل في طويّتها متنعِّماً بظلالها الوارفة ومحترقاً بنارها المستعرة.

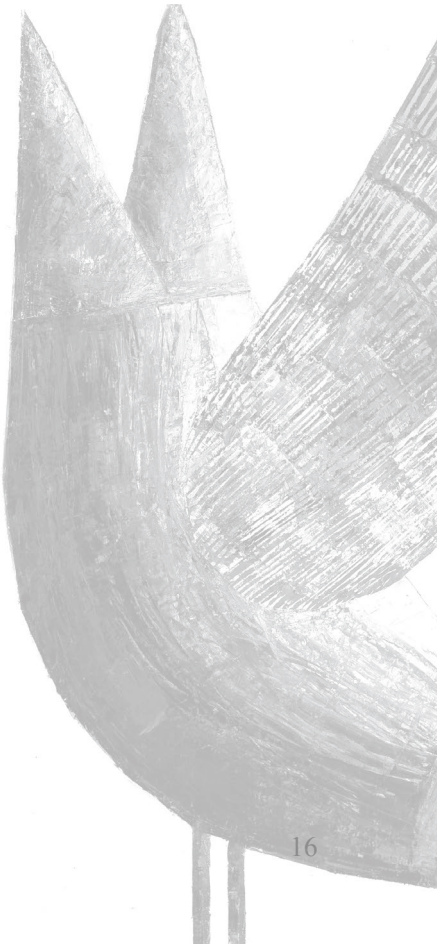
قد يكون إلياس أبو شبكة رومانسياً بل«زعيم الرومانسيين» في لبنان، كما سمّاه صلاح لبكي، ولكن، يصعب حصره ضمن هذه المدرسة التاريخية، على الرغم من الأثر الذي تركته فيه قصائد الرومانسيين الفرنسيين والعذريين العرب. فشعره شعر الحياة، شعر القلب والروح، شعر الجرح والألم. وهو لم يقلّد، ولم يصطنع،

بل كتب ما عاش، وعاش كما لو أن الحياة قصيدة لا تنتهي. وقد آلمه العالم من كثرة ما يحوي من شرور وقبائح، فلاذَ بالحبّ يغَنّيه ،وبالألم يمجّده، وبالموت يطلبه عزاءً وراحةً لنفسه المضطربة. ولم تكن عودته السافرة إلى الطبيعة في «الألحان» إلا عودة إلى حنينه الأول وإلى جذوره بعدما أحسّ أنه مقتلَع وغريب في عالم سلبيّ وخاوٍ. وكما قال صلاح لبكي -أيضاً- فيه: «كان يمكن له أن يوجد رومانسيته الخاصة لو لم يقرأ الرومانسيين السابقين، ولو لم توجد الرومانسية يوماً.».

وفي ذكراه اليوم يزداد حضور أبو شبكة، بينما يأفل الآخرون، وكأن شاعر «الأفاعي» شقّ الطريق الأولى إلى الحداثة الشعرية وهي لم تتوقّف أمام سحر الظاهر، بل نفذت إلى صميم الذات لتغرق أكثر فأكثر في تجاويفها ومنزلقاتها. وشعر أبو شبكة اليوم تشتدّ نضارته، وتستعر ناره الخفية، نار الألم والمعاناة، ومن تلك النار يستمدّ قدرته على مواجهة الزمن. وإذا ما انقطـعت سلالات الشعراء الذين سبـقوه وجايلوه تبقى لشاعرنا سلالته، سلالة الشعر «الملعون» الذي يظل دوماً في حال من التمرُّد والاحتجاج، لا على العالم والحياة فحسب، بل على الموت، واليأس، وعلى اللعنة نفسها.

عبده وازن

بيروت 2014



في حديث الشِّعْر*

لا أكتب هذه المقدّمة لأُحدّد الشعر، أو لأعلّم الشاعر كيف ينبغي له أن يشعر، وأي طريق يجب عليه أن يسلك ليصل إلى هيكل النور الأسمى، أو لأجيءَ بنظرية أتعصّب لها وأعلن لأجلها حرباً، فالشعر كائن حَيّ تحتشد فيه الطبيعة والحياة، فلا يُقاس ولا يُوزن، والنظريات مذاهب وأغراض لا تعيش إلاّ على هامش الأدب كما يعيش العَرَض على هامش الجوهر، أو كما يعيش الديكتاتور الزائل على هامش الأمة الأزلية.

وقد تصحّ النظريات أو المذاهب في كتاب سياسي أو وصيّة سياسية موجَّهة إلى شعب له أوضاعه الخاصة، وحدوده المقرَّرة، وثقافته، وجنسيته، ولا تصحّ في شعر يعبّر عن الحياة، فالحياة لا جنسية لها ولا أوضاع ولا حدود، وهي أوسع من أن نضع لها حدوداً ومقاييس، والدائرة غير المحدودة لا تنحصر في الحدقة الضيِّقة.

ليس للفكر حدّ ولا تخوم، فكيف نضع للحياة حَدّاً وهي هدف الفكر؟

كيف نحدِّد هذه القوّة المتحوِّلة في اللانهاية، هذه القوّة المجهولة؟

ورُبَّ قائل إن الإنسان دائم الشوق إلى معرفة المجهول. وهذا صحيح. على أن الشوق إلى معرفة المجهول لا يلزم العقل البشري إلاّ عندما يقتنع الإنسان بأن إدراكه الحسّي للعالم الخارجي لا يكشف له حقائق الأشياء التي يراها ويلمسها، ويضطرّ إلى الاعتراف بأن إدراكاته الذاتية ليست سوى تأثيرات لسبب خارجي يجهل حقيقته. ولكن الجاهل لا تمرّ في خاطره أيّة شبهة بشهادة حواسّه الذاتية، ويعتقد كل الاعتقاد أن الأشياء التي يراها ويلمسها هي الحقائق بعينها. ولا يمكن تحويله عن هذا الاعتقاد لأن نظريته في مبحث المعرفة تمثِّل أحطّ درجة من المادّية التافهة، ولأنه يصرّ على إدراكه ما لا يُدرَك، بل يحسّ، يصرّ على إدراكه الحقيقة المطلقة ورؤيته إيّاها من وراء المظهر المتحوِّل في الحياة.

كيف نستطيع إدراك ما لا يدرك بل يُحَسّ لنقّيده في دائرة ضيقة من اصطلاحتنا البيانية، ثم نوزِّعه مذاهب وطبقات هي سياسة الشعر لا طبيعته؟

أليس من الخرق أن نحاول -بلغة وضعية- تحديد لغة المجاز والكناية، لغة الروح، لغة الحسّ الوجداني العميق؟

وقد يعمد بعض هواة النظريات إلى تحديد الشعر بالطريقة الفلسفية، وفي هذا دليل على شكّ هذا البعض في الشعر نفسه: في جوهر الحياة. فالمرء لا يلزم جانب التفلسف إلا عندما يخالجه الشكّ، مزعزع الاعتقاد بمطابقة المدارك الحسية لحقيقة الأشياء المدرَكة. وهذا الشكّ الفلسفي ينمّ في حَدّ ذاته- عن الاعتراف بعجز الوسائل

العملية وقصورها. وهذا الاعتراف يرغمنا -في نهاية الأمر- على التسليم بأننا لن نتمكّن من معرفة حقائق الأشياء بوسائلنا المحدودة، وإن ضعف وسائلنا ناجم عن طبيعة تكويننا الناقص، وعندئذ يصبح المجهول في نظرنا السرّ الغامض، أي الحَدّ الأخير الذي يقف عنده الذكاء البشري.

هذا هو الشوط الذي تجتازه الفكرة الفلسفية عندما تصدر عن الشكّ لتخلص إلى الشوق لمعرفة المجهول. وإذا أضفنا إلى هذه البيّنات التأثير المخيّب لتقلُّب الحياة في هذا العالم، ندرك -في الحال- أن من العبث والجهد الضائع التشبُّث في البحث عن الحقيقة المطلقة الثابتة وراء مظهر الوجود المتقلِّب، وعندئذ يغمرنا هذا الإدراك بكآبة عميقة، فنفهم السبب الحقيقي لذلك التشاؤم العميق الذي يستولي -عادةً- على الشعراء.

إذاً، ثمّة حقيقة غامضة، من العبث البحث عنها لتحديدها، وقد قال الأب بريمون: «إن كل قصيدة مدينة بطابعها الشعري لتألّق هذه الحقيقة الغامضة» وربما أراد الأب بريمون أن يعني بهذه «الحقيقة الغامضة» «الوحي»، وهو في ذلك لم يجئ بنظرية، بل عبّر عن شيء يجهله، ولكنه يشعر به، خلافاً لـ«بول فاليري» الذي تعمَّد الإتيان بنظرية عندما قال: «إذا آمن الشاعر بالوحي قتل الإبداع» فإذا كان الوحي حالة من حالات النفس عند تأثّرها المباشر بقدرة خارقة، وشئنا أن ننكر هذه الحالة، أنكرنا جوهر النفس ذاته، أنكرنا مبدأ الحياة. وأية غضاضة على الشاعر أن يكون وسيطاً لهذه القدرة الخارقة؟ فالأنبياء كانوا يتسقّطون كلام الله. والقدرة الخارقة ليست

منفصلة عن الإنسان، فهي جوهر نفسه. فإذا أرسل الشاعر نظره في معرض الطبيعة، واجترّت عيناه مشهداً من مشاهد هذا المعرض، ثم خبزه على نار هذا الجوهر، فيكون قد أعطاك من نفسه، والنفس هي المصهر الداخلي الخفي لكل ما يحيط بالإنسان. فإذا كانت النفس مفطورة على الصفاء، وتهيّأت لها العوامل الثقافية المكمّلة، فإنها تنقّي الشعور من أدرانه، وتقوم بهذا العمل من تلقائها، فلا تكلِّفك إجهاداً ولا تعمُّلاً؛ شأن المعدة الصحيحة تهضم الطعام، وتتولّى توزيع الدم النقي في الجسد وإخراج الفاسد منه.

قلت إن القدرة الخارقة ليست منفصلة عن الإنسان، فهي جوهر نفسه، فعلى هذا الجوهر تنصهر المرئيات، وتشترك في هذا العمل جميع الحواس. إذاً، فالقدرة الخارقة التي يتأثّر بها الشاعر هي نفسه. والنفس قوّة لم يدرَك كنهها لتُحَدّ، فكيف ننفي «الوحي الشعري» ما دامت النفس مصهر الشعور؟

ويقول «فاليري» -أيضاً- إن الشاعر من يستطيع النظم ساعة يشاء، وليس الشاعر وقفاً للمصادفة، وإنه لمن الخطل القول إن الشاعر منفعل لا فاعل، ومتسقّط ما يُلقى عليه.

كأني بـ«بول فاليري» يريد أن يُنزِل الشاعر منزلة النجّار أو الحدّاد يقبل على عمله ساعة يحين موعد العمل أو ساعة يريد العمل، فيكون فاعلاً لا منفعلاً. وهذا أبعد حدود الخطل وامتهان فاضح لجوهر الشعر. وأيّان هو هذا الشاعر الذي يصطنع العاطفة اصطناعاً ليعطيك كل ساعة

إنتاجاً، كالنجار يعطيك الخزانة في الوقت المتَّفق عليه؟

أيّان هو هذا الشاعر الذي لا يتأثّر بما حوله ومن حوله؛ فلا هجر حبيب يؤثر فيه فيحرّك شعوره، ولا موت صديق أو صديقة، ولا نكبة عزيز، ولا كارثة أمّة، ولا فرح شعب، لا الظفر ولا الانكسار، لا الذلّ ولا الكرامة، لا ربيع الطبيعة ولا شتاؤها، لا صيفها ولا خريفها؟

وأيّة غضاضة على قريحة الشاعر إذا هي مرّت بساعات خدر؟ أفيكون الشاعر ملتزم أن يشغّل في يده مقياس الزمن لإنجاز عمله؟ أفلا يتَّفق للقريحة أن تمرّ في ساعات خَدَر فلا ترى ما تراه في ساعات اليقظة الروحية، ولا تحسّ ما تحسّه في ساعات التأثّر والانفعال؟ وإلا ففيم لا يترك الشعراء من الروائع إلا ثلاثاً أو أربعاً لا تسلخ من العمر أكثر من سنة؟ قال أحد الشعراء الخالدين: «إذا أُحصِي الوقت الذي وقفته على نظم قصائدي فلا يعدو تسعة أشهر»، وقال «فاليري» أيضاً: «إن الشاعر الموهوب من يختار اللفظة الصالحة لإحداث الرعشة النفسية وإحياء العاطفة الشعرية.».

على أن الشاعر الحقيقي لا طاقة له على اختيار اللفظة، فله من شعوره الزاخر ما يصرفه عن هذه الأُلْهِية. وعندي أن الشعر ينزل مرتدياً ثوبه الكامل. وهذا الثوب جزء من الشعور لا يتجزّأ. وقدر ما تكون ثقافة الشاعر من الرقي والذوق والموسيقى في روحه يكون البيان راقياً في شعره. وهذه اللفظة التي يريدنا «بول فاليري» أن نختارها تتكاتف العناصر الروحية فينا على اختيارها ، فلا تكلِّفنا هذا العناء، أو تصرفنا عما تراه بصائرنا خلال الأحلام والرؤى. فكل ما يكتسبه المرء يصهره

جوهر نفسه، القدرة الخارقة، فيصير عضواً فيه.

إلا أن «فاليري» ما لبث أن نقض نظريته في الوحي الشعري في محاضرة له عن «إلهامات البحر المتوسط» وفي هذا دليل على فساد النظريات في الأدب.

فقد وصف الشاعر الفرنسي الزوارق الماخرة عباب بحر الروم، والجِيَف الحمراء تتركها الأسماك المبقورة، وأهرام البرتقال المُصَدَّر من أسبانيا، ودَلّلَ على إقطاعات الروح البشرية والأساليب التي تتكوَّن منها هذه الإقطاعات، وعلى تطوّر النور الناشئ، والسماء والشواطئ، وأثر هذه المشاهد في روحه.

وشاء أن يحدِّثنا عن جميع العوامل والمؤثِّرات التي كان لها الفضل الأكبر في تكوين مخيّلته وإحساسه، فأخبرنا أن جمال البحر جذبه في صباح يوم. وفيما هو يغتسل ويُمَتِّع الطرف والروح بتموُّج النور على سطح الماء إذا بمشهد تقزّ له النفس يعترض نظره؛ فقد رأى على مقربة منه، في قعر الماء الصافي الشفاف، أشياء حمراء بلون الورد الخفيف أو الأرجوان العميق، وعَلِمَ -بكثير من المقت- أنها كتل فظيعة من أحشاء الأسماك التي طرحها الصيادون في البحر. ولم يقوَ على الهرب مما رأى، ولا على تحمُّله؛ لأن عاملين، في نفسه، كانا يتنازعان الشعور بالجمال الحقيقي الغريب في فوضى هذه الألوان الأصلية. وفيما هو مستسلم إلى المقت والرغبة في الاستفادة، يتقاسمه عامل الهرب وعامل التحليل، كان يفكِّر في ما يُستطاع استنتاجه من هذا المشهد، ثم انتقل بالفكر إلى ما في شعر

القدماء من الوحشية والدم، وتذكَّر أن الإغريق ما توَرَّعوا عن وصف أفظع ما تقع عليه العين، وأن الأساطير الإغريقية وشعر الملاحم والمآسي طافحة بالدم، ولكن الفنّ أشبه ما يكون بسطح الماء الصافي الذي رأى خلاله تلك الأشياء الفاحشة.

وانتقل «بول فاليري» إلى الدور الذي مَثَّلَه البحر بما اتصف به من الخصائص المادّية في تكوين الفكر الأوروبي الذي حَرَّر العالم البشري بأسره، ومما قاله إن طبيعة البحر المتوسط والعلاقات التي قرّرها أو فرضها كانت أساس التكوين النفساني والفني، هذا التكوين المدهش الذي استطاع ببضعة قرون أن يميِّز الأوروبيين من سائر الخلق، والزمن الحاضر من الأزمان الغابرة، فأقوام البحر المتوسط هي التي خطت الخطوات الأولى الواثقة لإيضاح الأساليب والبحث عن الظواهر الطبيعية باستخدام قوى الفكر. وبعد أن وصف الشاعر مواقع البحر المتوسط ومزاياه الطبيعية انتهى إلى القول إن إبداع الشخصية البشري ورفعها إلى مستوى من الرقي والتطوُّر الأكمل كانا من مبتدعات هذه الشواطئ. ويتّضح لنا من هذا أن فاليري أصبح مؤمناً كل الإيمان بـ«الوحي الشعري»، بدليل أن البحر والشمس والسماء هي مصدر تكوينه وتثقيفه، وأن طبيعة البحر المتوسط كانت أساس التكوين النفساني والفني الذي مَيَّز الأوروبيين من سائر الخلق.

ولن أعمد هنا إلى مجادلة هذا الرأي في تمييز الأوروبيين من سائر الخلق، فلكلٍّ في تمييز عنصره مدلول يخالف به الآخر، بل أقصر الكلام على الوحي الشعري من غير أن أذهب مذهب العرب القدماء

في أن الوحي يُلقَّن من فم شيطان، وأن الشياطين تسترق السمع، وتلقيه على الألسنة.

فالوحي يتولّد «على صفاء المزاج الطبيعي وقوّة مادّة النور في النفس» على حَدّ قول المسعودي، وأضرب مثلاً على ذلك هذا الغدير الصافي: لا تشقى العين في رؤية السماء وغيومها وسحبها ونجومها ماثلة في قعره، كأن هذه السماء وما عليها هاتف في أعماق نفس الغدير. وللطبيعة الحكم المطلق في تصريف النفس البشرية وأثرها الكامل في الحسّ، وليس في المبروءات النفسية والجسدية ما لا تحكمه الطبيعة.

وفي الطبيعة أسرار لطيفة لا يدركها الحسّ مهما دقّ، بل يشعر بها إذا قويت النفس. والنفس -مهما قويت- لا تستطيع قهر الطبيعة لاقتناص سرّها اللطيف إلاّ إذا تجرَّدت من أدران هذا العالم. وهذا مستحيل.

إذا تجرَّدت النفس من هذه الأدران بلغت النسبة النورانية الكاملة، بلغت مستوى الطبيعة، بلغت ذات الله. والنفس النقية هي الله. على أن للنفس هنيهات تصفو فيها، فينعكس عليها من الطبيعة جمال محجوب. وهذا الجمال يهتف في النفس أسراراً تُنطِق لسان الشاعر الثقيف بمعانٍ شريفة. وعبثاً نحاول معرفة هذه الأسرار، فهي من الغموض واللطف بحيث تدقّ على أدقّ حسّ، ويكفي أن نسمع من هذه الأسرار ما يُنطِق ألسنتنا، ويفتح أذهاننا لمشاهد نراها بأمّ العين.

وربَّما أراد الأب بريمون بقوله: «إنه لا حاجة لفهم معنى الشعر،

فالسحر المنبعث عن موسيقاه يؤثّر في النفس تأثيرا مباشراً» ربما أراد بقوله هذا أن يعبّر عن تأثّر النفس بانعكاس الجمال المحجوب في الطبيعة عليها، ويظهر أن هذا الجمال الغامض إنما هو موسيقى الطبيعة تعزف على أوتار النفس معزوفات غامضة من نوع ذلك الجمال.

على أن هذا، وإن يكن حقيقياً، لا ينبغي جعله أساساً للشعر. فالموسيقى هي عنصر من الشعر لا كلّه. وهذا العنصر غامض ككلّ شيء يُسمَع ولا يُرى، ومن الخرق الفاضح أن نكتفي من الشعر بموسيقاه، ونقدّم فيه وصف ما لا يوصف على سائر عناصره. فللشعر عناصر متساوية يجب أن تجري كلّها في حلبة واحدة، فلا تنحطّ الفكرة عن الموسيقى، أو الصورة عن الفكرة.

ومن الخرق أيضاً أن نتَّخذ الشذوذ قاعدة للشعر، فنذهب مثلاً مذهب الأب بريمون القائل إن الشعر الجميل يخلو أحياناً من المعنى، أو إذا انطوت أجزاؤه على معنى فلا ينطوي عليه في مجموعه. فالشعر إذا اقتصر على الموسيقى لا يلبث أن يشيع الملل حتى في الأذن. ولا بُدَّ، هنا، من القول إن الشعر يرافق جميع وجوه التفكير. فالشاعر قد يطرق باب الفلسفة، ولا ينحطّ عن الشعر.

على أن هذا الشاعر ليس بأبي العلاء المعري مثلاً، فأبو العلاء يقحم الفلسفة في شعره فيناقش فيها كالمعلِّم العالم، ولا يلزم المزاج الفني فيلمع إلى الفكرة التي تبدو له بتعبير يستخدم فيه جميع أنواع المجازات والاستعارة والرموز بحيث يحدث التأثير النفساني

المنشود.

وقد يطرق الشاعر، أيضاً، باب الزراعة ولا ينحطّ عن الشعر، كما فعل «فرجيل» في «الجيورجيات»؛ فقد نظم هذا الشاعر قصيدته هذه ليحمل الرومانيين على تعشُّق الأرض نزولاً على رغبة أوغسطس. على أنه سَيَّرَ معارفه الزراعية في موكب من الألفاظ الموسيقية حمله من عذوبة الحنان ورائع الوصف ما أدرج قصيدته في عداد الروائع الشعرية الخالدة.

وما أقوله عن «فرجيل» أقوله عن جميع الشعراء الأقدمين والمتأخِّرين الذين استخدموا مواهبهم لاكتشاف كنوز الطبيعة والحياة. فالطبيعة هي قيثارة الشاعر، وعبثاً يحاول الشاعر البحث عن أوتاره في غير هذه القيثارة. والشاعر الحقيقي هو تاريخ عصره ملحّناً، فلولا الشعر ما عُرف تاريخ العرب في الجاهلية، ولولاه ما عُرِف تاريخ الفروسية والكرامات عند الرومان، ولولاه ما عُرِف تاريخ الإغريق. ولَمّا أراد الكاتب الفرنسي «إتيان باسكيه» وضع كتاب عن الحياة الوطنية في القرون الوسطى اضطرّ إلى قراءة الملاحم الشعرية Les chansons de geste.

قرأت، أخيراً، مقالاً للكاتب الفرنسي «أدمون جالو» عن شاعر عظيم من شعراء القرن الثاني عشر يدعى شوتا روستافيلي، عاش تحت السماء التي أظلَّت الفردوس الأرضي وجبل أرارات الذي وقف عليه فلك نوح. يقول أدمون جالو: «إن لهذا الشاعر الذي اكتشف أخيراً قصيدة أو ملحمة رائعة هي أمدوحة للإنسان كما كيَّفته أواخر القرون

الوسطى، في قوته، وشعوره بالشمم والعدل، وسذاجته على عتبة الانبعاث، ثم يتابع: «حالما نقرأ هذه القصيدة (إنسان في جلد نمر) نقع في ذهول حيال هذه السكرة الشرقية، ذلك أننا نحن -الغربيين المساكين- فقدنا عادة التشنُّج الكلامي، ونكاد نختنق في هذا الجوّ من البخور والألوان».

ونحن -الشرقيين- فقدنا، بدورنا، ذلك التشنُّج الكلامي، ونكاد نذوب في هذا الجوّ من البخور والألوان الغربية. هذا الجوّ الذي اجتاحت غيومه السامّة بلدان الشرق مندفعة بقوة الاجتياح السياسي.

وإني لأتساءل: ماذا ترانا نستطيع بهذا القاموس الضيّق، هذا القاموس المستورَد نتشبَّث فيه للتعبير عن أعمق حقائق النفس، فنرفع الكلفة بيننا وبين اللغة، ولا نتورَّع عن سلوك مهامِهَ غائمةٍ كأننا في حلم؟ وقد يخيَّل إلينا، ونحن نسلك هذه المهامِه، أننا نسير في الطريق الشعري السوي، بينما نحن -في الحقيقة- لا نحاول إلا الخروج من أنفسنا مستعبدين لنظريات خاطئة بل مضرّة، تحرَّرَ منها حتى مبدعوها أنفسهم. فـ«بول فاليري» الذي جاءنا بمشاريع نظريات خلقت، في الأدب العربي، جيلاً مضعضعاً لم يَحِدْ عن صراط «ماليرب»، ولم يتمرَّد على القاعدة الكلاسيكية في النَّظْم. وإني لأجد في شعر «فاليري» أبياتاً كثيرة يُستطاع دَسُّها في شعر «لامارتين»، كما إني أجد في شعر البرناسيين أمثال غوتيه وبودلير، ما يُستطاع نسبته إلى شعر أعدائهم الرومانطيقيين مثل لامارتين، وهوغو، وفينيي، وشعر الرمزيين مثل فيرلين، ومالارمي.

قلت في مستهل هذا الحديث إني لا أكتب هذه المقدّمة لِأحدِّد الشعر أو لأجيء بنظرية أتعصَّب لها وأعلن لأجلها حرباً، بل أكتبها لأردّ صادراً إلى مصدره، لأردّ الشعر إلى الطبيعة أمّه. فمنذ اليوم الذي تأزّمت فيه المشادّة بين أدباء الغرب، وطلعت وحوش النظريات من أوكارها يكشِّر بعضها في وجه البعض الآخر، التوى الشعر عن قصده، وأصبح زيّاً يتلوَّن بتلوُّن الأهواء. ولكن النفس لا تخطئ لأنها معكس ومصهر لحقائق أبديّة هي الطبيعة والحياة. ففيما المدارس الشعرية منصرفة إلى التطاحن إذا بطائفة من مبدعي هذه المدارس ترتفع عن الفرضيات الزائلة إلى المصدر الأبدي. فرأينا «بودلير» البرناسي يصدر عن نفسه، ويلتقي «فريلين» الرمزي على صعيد واحد، ورأينا جميع الشعراء الحقيقيين من زعماء المدارس يتنقّلون في الأودية المظلمة، ويجتمعون أنقياء على قمّة واحدة هي الشعر.

فالمدارس الشعرية سجون، ونظرياتها قيود، والشاعر لا يعيش في جو العبودية هذا. فالطبيعة هي جوّه الفسيح، تتكيّف إحساساته بتكيُّف المظاهر المتقلِّبة فيه، وإذا خرج الشاعر من هذا الجوّ خرج من نفسه، وكذب على نفسه.

* مقدمة كتبها إلياس أبوشبكة لديوانه "أفاعي الفردوس" - 1938

مختارات شعرية



الثورة العظمى

هَذي الرَوائعُ مِنْ ذَاكَ اللّظَى خُلُقُ ... ما أَضْعَفَ السّيْفَ حينَ الخُلقُ يُمتَشَقُ

مَا في الحَديدِ وَلا في النَارِ مُنتَصِرٌ ... كِلاهُما في لَهيبِ الحَقِّ يَحتَرِقُ

اللهُ أكبَرُ كَمْ في الفِكْرِ مَنْ شُعَلٍ ... حَذارِ في ظُلْمِهِ أَنْ يَبرُقَ الحَدَقُ

إذا الضَّميرُ وَنَى في رَدْعِ مُنكَرَةٍ ... فاصْبِرْ لَهَا فَهُناكَ الجِبرُ والوَرَقُ

لَوْ يُستَشارُ حَكيمٌ لَمْ يَكُنْ زَغَلٌ ... وَلَمْ يَكُنْ ظَالِمٌ لَوْ يُسبَرُ العُمُقُ

* *

مَعابِـرَ الفِكْـرَةِ الحَمْـراءِ كَيْفَ نَمَا ... علـى ثَـراكِ شـباباً ذلـك العِـرُقُ

مَشى الشّبابُ بِهَا طَوْعَ الضّميرِ فَمَا ... فـي السّلم بَـاغٍ ولا في الحربِ مُرْتَزِقُ

مَضَى إلى المَجْدِ لَمْ يُشْهَدْ لَهُ مَثَلٌ ... وَلَـمْ تُشَـقَّ لإِنْـسٍ مِثْلَـهُ طُـرُقُ

لمْ يبقَ من شُرعةِ الدّنيا سوى رَمَقٍ ... والمُسْـتَرِدُّونَ بـاقٍ مِنْهُـمُ رَمَـقُ

بورِكْـتِ يـا نهضـةً للشَّـعْبِ ثائـرةً ... هـذي الروائـعُ مـن إيمانِهـا عَبَـقُ

إن البقـاءَ علـى الإيمـانِ مُرْتَكِـزٌ، ... الأقويـاءُ مَضَـوْا والمُؤْمِنـونَ بَقُـوا

غرفة الحزن

أُنظـروه تَـرَوْا خيالـيَ فيـهِ ... شـفَّهُ سـقمهُ، فصـار شـبيهي
رشـأٌ حُسـنه يضاعـف حُبّـي ... العـذارى فـي فجرهـا ترويـهِ
فـإذا مـا النجـومُ أبـدَتْ شـعاعاً ... فشـعاعٌ مـن حُسـنِهِ يخفيـهِ
وإذا مـا الصَّبـا أذاعـت حديثـاً ... فالصَّبـا فـي حديثِهـا تعنيـهِ
كـم سـهرتُ الظـلام أرعـى هـواه ... وأنـا شـاخصٌ بمرشـفِ فيـهِ
فكأنّـي عبـدٌ أَوَدُّ رِضـاه ... وأنـا فاعـلٌ بمـا يُرضيـهِ
ومِـراراً لزمـتُ غرفـة يأسـي ... أنظـم الشـعر والهـوى يمليـهِ
غرفـةَ الحـزن، أنـتِ تحويـنَ صَـدراً ... كلّ مـا فـي الوجـودِ لا يحويـهِ
يـا غـزالاً أويـتَ قلبـيَ، رِفقـاً ... صـار ميتـاً ذاكَ الـذي تأويـهِ
إن تكـنْ تسـتحلّ قتـل فـؤادي ... ليـس فـي الحُـبِّ غيـرُه تشـتريهِ

حين أراكِ

أُحبُّــكِ حيــنَ أَراكِ تنوحيــن ... والدمــعُ يقطــرُ مــن ناظريــكِ
وأَهــوى تقطّــعَ أَوتــارِ صوتِــك ... يُصعِّــدُهُ الحــزنُ مــن مرشَــفَيْكِ
أُحِــبُّ العـذابَ وأَهـوى البُـكاءَ ... وأَعشـقُ كأسَ الضنـا فـي يَديـكِ
وعنــديَ أَنَّ ارتــواءَ الدمــوعِ ... دمــوع المؤاســاة مــن مقلَتَيــكِ

صرت أخشى

لا أرى فـي الهـوى عليـكِ رقيبـا فاخدعـي الحـبَّ واسـترقّي القلوبـا
سـيبينُ الخـداعُ فـي الحُـبِّ يوماً إنَّ فـــي مقلتَيـــكِ ســـرّاً رهيبـــاً
منـذ عهـدٍ مضـى بقربِـكِ عَذْبـاً كنـتُ فـي شـرعِكِ الغـزالَ الربيبـا
صرتُ أَخشـى منـكِ انقلاباً وأَخشـى أَن يصيـرَ الغـزالُ، يـا مـيُّ، ذيبـا

جرس الحزن

أَيا جرساً في هوّةِ الدمعِ ناحباً ... نحيبك ألحانُ الطبيعةِ والعمرِ
سمعتك جهراً تسكب الدمع في الورى ... ولكنَّ هذا الجهرَ روحٌ من السرِّ
أَصِخْ، عندما الحفَّارُ بعد تهدّمي ... يعيد بقايا العفر مِنّيَ للعفرِ
بقايا هي الآلامُ والدمعُ والأسى ... هي ابنةُ ليلٍ تنتحي عالَم الفجرِ
ترحَّمْ ولا تجعلْ رنينَكَ محزناً ... ودقَّ بألحانِ الحبورِ على قبري
وشابِهْ دويّ القيدِ حين رمى به ... على سُدّةِ السجنِ، الطليقُ من الأسرِ

عهدان

أَوَلا تراهـم يَرتـدونَ الليـلَ حتـى منتهـاهْ
يسـتنزفونَ دم الشـباب ويرقصـونَ علـى قـواهْ؟
هـذا فتـىً، كانـت تَمَـوَّجُ بالجـواذبِ وجنتـاهْ
كان النـدى يطفـو علـى آمالـه وعلـى صبـاهْ
كانـت أزاهيـرُ الربـى بالأمـسِ تَسـكَرُ مـن شـذاهْ
وذُرى الجبـالِ، إذا رأتـه، تقـول: "مـا أعلـى ذُراهْ!"
مـاذا دهـاه اليـومَ؟ الشـهواتُ تعـرفُ مـا دهـاهْ
ولكـن سـمعتُ الـوردَ، ينكره فيسـأل: "مَن تُـراهْ؟"
والفجـرُ، أصبـح يعـرف الدنيـا جميعـاً... مـا عداهْ

صلاة المغيب

أُسجُدي للهِ يا نَفْسي فقد وافى المغيبْ!

* *

هُوذا الفَلَّاحُ قد عادَ من الحقلِ الجميلْ
في يديهِ المنْجلُ الحاصد والرَّفشُ الطويلْ
وعلى أكتافِهِ حِمْلٌ من القمحِ ثَقيلْ
فهو تَعْبانُ وفي عينيه آثارُ اللهيبْ
أُسجدي لله يا نَفسي فقد وافى المغيبْ!

* *

أُسجدي لله واسليْ فترةً ذكرى العذابْ
قبلما تزحف في الوديان أشباحُ الضَبابْ
واستعيدي ذكرياتٍ لأُوَيْقاتٍ عِذابْ
لم يكن ماضيكِ كالحاضرِ مُرتاباً كئيبْ
أُسجدي لله يا نَفسي فقد وافى المغيبْ!

أنتِ لي

كُلُّ ما في الحَياةِ أَنتِ، فَقَد سُـــكِّـــرَ سَـمعي وَأُطبِقَـت مُقلَتايـا
صَوتُـكِ العَذبُ ما سَـمِعتُ سِواهُ غَيــرَ عَينَيــكِ مــا رَأَت عَينايــا
كَيفَمــا أَلتَفِـت أُحِسُّـكِ حَولـي أَنـتِ مِـلءُ المُنـى وَمِـلءُ هوايـا
مِـلء نَهـرِ الحَيـاةِ تَـزدادُ روحـي عَطشـاً كُلَّمـا اِرتَـوَت شَـفَتايا
غيـرَ أَنـي أُحـسُّ نـاراً بقلبـي، أَيكـونُ الهـوى بقلبـي خطايـا؟
هاجـسٌ خاطـفٌ يسـاورُ نفسـي وانقبــاضٌ، تحسُّــه رئتايــا
مـاءُ عينيـكِ، فيـمَ يَصلبُ أحيانـاً ويقســو، كأنَّ فيــه ســوايا؟
أيَّ طيـفٍ أرى خـلال شـكوكي لـم يَـذُبْ بعـدُ فـي لهيـبِ غنايا؟
أنـتِ لـي فـي حقيقتـي وخيالي، لـيَ فـي يقظتـي، ولـي فـي رؤايـا
إن أكـن مـن دمـي بقيَّـةَ شِـعرٍ وخيــالٍ، فأنــتِ منــي بقايــا

أنتِ أم أنا؟

جمالُـكِ هـذا أم جمالـي؟ فإننـي ... أرى فيـك إنسـاناً، جميـلَ الهوى، مثلي
وهـذا الـذي أحيـا بهِ، أَنـتِ أم أَنا؟ ... وهذا الذي أهواهُ، شـكلُكِ أم شـكلي؟
وحيـن أرى في الحُلـمِ للحُبِّ صورةً، ... أَظِلُّـكِ، يجـري فـي ضميـريَ، أم ظِلّـي؟
تربَّـع كلُّ الحُـبِّ فـي كلّ مـا أَرى ... أَمـن روحـك الكُلِّيِّ، هذا السـنى الكُلِّي؟

* *

وعنِّـيَ قلـتِ الشـعرَ، أم عنـكِ قلتُه؟ ... ومَـن فـي الهـوى يُملَـى عليه، ومَـن يُملي؟
أُحسُّ خيالـي، فـي خيالـكِ، جارياً ... وروحَكِ في روحي، وعقلَكِ في عقلي
إذا مـا تـراءَى مُبهَـمٌ فـي تصـوُّري ... رأيـتُ لـهُ ضـوءاً بعينيـكِ يسـتجلي
كأنَـكِ شـطرٌ مـن كيانـي أَضعتُـه ... ولمّـا تلاقينـا اهتديتُ إلـى أصلي!

* *

أعذبُ الشِعْر

أقول لقلبي: إنها الصدقُ في الهوى وفي قلبها حبٌّ لغيرِكَ ما خَفَقْ
ويا بصري، حِدْ مرَّةً عن طريقِها كأنك ممدودٌ بخيطٍ من القَلَقْ
ويا شُعراءَ الأرضِ ما أَصدَقَ النّدى إذا ابتسمَتْ ليلى، وما أَكذب الوَرَقْ!
وإن نظرتْ، ما أبلغَ الشعرَ صامتاً وإن نطقتْ، ما أَعذبَ الشعرَ إِنْ نَطَقْ

* *

مررتُ بألوانِ الكلامِ ووجهِهِ فما جازَ عيني ثم على الحَدَقْ
كغيمٍ خفيفٍ يَمسح النورُ وجهَهُ لأُولى رياح الليل ينحلُّ في الشفَقْ
فيا أذنُ، لا تخدعْكِ في القولِ بهجةٌ ويا قلبُ علِّمْ: أَعذبُ الشعرِ ما صَدَقْ

شقوة الـهوى

أرحْ قلبَك الخفَّاقَ من شقوةِ الـهوى فكلُّ هوىً بؤسُ الحياةِ يـراوحُهْ

إذا النسر لم يجثمْ، وقد ظلَّ صاعداً يحلّق في الأجواءِ، تَبرى جوانحُهْ

العذاب الحيّ

يا حُبُّ عَذِّبْ عذِّب فؤادي
أَلهب عروقي أَطفئ رَشادي
وهاتِ سُهدي وخُذْ رُقادي
يا حُبُّ عذِّبْ عذِّب فؤادي

* *

سقيتُ روحي من الأَلَمْ
فمن جروحي هذا النَّغَمْ
وكلُّ ما بي من العذابِ
يذوبُ حبًّا على كتابي
يفيض نورْ من الشعورْ
على مدادي

يا حُبُّ عذِّبْ ... عذِّبْ فؤادي
أهوى غزالْ ... من الحَضَرْ
مِلءَ الخيالْ ... مِلءَ الفِكَرْ
لمَّا أتينا ... في الحُبِّ آيّهْ
نمَّت علينا ... عينُ الوشايَهْ
لكنَّ حُبّي ... دمي وقلبي
يا حُبُّ عذِّبْ ... عذِّبْ فؤادي
رأيتُ نوري ... عليكَ بادي
وسوف يبقى ... على رمادي
يا حُبُّ عذِّبْ ... عذِّبْ فؤادي

ذوَّبتُ قلبي

وذوّبـتُ قلبـي فـي إنـاءٍ مـن الهـوى وأَدنيتُــه مــن مِرْشَــفِ الرؤســاءِ
وقلـتُ لهـم: "هـذا هو العدلُ، فاشـربوا لعلّكــم تُصْغــونَ للضُعفــاءِ!"
فمالـوا جميعاً عـن إنائي وغمغمـوا: "إنــاؤُكَ محظــورٌ علــى الزُّعمــاءِ!"

* *

وذوّبـتُ قلبـي فـي إنـاء مـن الهـوى وأدنيتُــهُ مــن مِرْشَــفِ السُّــجَناءِ
وقلــتُ لهــم: "هــذا عــزاءُ قلوبكــم، فللأَبريــاءِ التاعســينَ دمائــي"
فقالــوا: "دمــاءٌ مــا تَحــلُّ قيودَنــا فهــاتِ قوانينــاً لغيــرِ قضــاءِ"

وذوّبتُ قلبي في إناءٍ من الهوى وأَدنيتُهُ من مِرْشَفِ الحُكماءِ
وقلتُ لهم: "هذا هو النورُ، فاشربوا فآراؤكم في حاجةٍ لِضِياءِ"
فقالوا، وقد هزَّوا الرؤوسَ شماتةً: "ضياؤك هذا خِدعةُ الجُهلاءِ"

* *

وذوّبتُ قلبي في إناءٍ من الهوى وأَدنيتُهُ من مِرْشَفِ الشعراءِ
وقلتُ لهم: "هذا هو الحبُّ، فاشربوا فأزياؤكم مرهونةٌ لفناءِ
إذا الحُبُّ لم يضرم لهيبَ قلوبِكم بَشِعتمْ، ولو جِئتُم بألفِ رِداءِ"

التجلّي

إِجْـرَحِ القَلْـبَ وَاسْـقِ شِـعْرَكَ مِنْـهُ ... فَـدَمُ القَلْـبِ خَمْـرَةُ الأقْـلامِ

مَصْـدَرُ الصّـدْقِ في الشّعُورِ هُـوَ القَلْـ ... ـبُ وَفي القَلْبِ مَهْبِطُ الإلْهامِ

وإذا أنـتَ لـمْ تُعـذَّب وتَغْمِـسْ ... قلمـاً فـي قـرارةِ الآلامِ

فَقَوافيـكَ زُخْـرُفٌ وَبَريـقٌ ... كعظـامٍ فـي مدفـنٍ مـن رُخـامِ

وإذا القلْـبُ لـمْ يُرَقَّـقْ بِحُـبٍّ ... حَجَّرَتْـهُ ضغائـنُ الأيّـامِ

والهـوى دونَ أكبُـدٍ ليـس يحيْـا ... فغِـذاءُ الهـوى مِـنَ الأجسـامِ

ضحِّ بالقلْبِ إنْ هويتَ فليس الـ ـــقَلْبُ إلاّ وَليمَـــةً للغَـــرامِ
يـا لهـا فـي الهـوى وليمـةَ قلْـبٍ سوفَ يبقى لها صدىً في الأنامِ!
واشقَ ما شِئْتَ، فَالشّقَا مُحْرِقَاتٌ صعِـدَتْ مِـنْ مذابـح الأرْحـامِ
رُبَّ جُـرْحٍ قـد صـار ينبـوع شـعرٍ تلْتَقـي عِنْـدَهُ النفـوسُ الظَوامـي
وزَفيـرٍ أَمْسَـى - إذا قَدّسَـتْهُ الـ ـروحُ - ضَرْباً مَـنْ أقْدَسِ الأنغامِ
وَعَـذابٍ قـد فـاح مِنْـهُ بَخُـورٌ خالـدٌ فـي مَجامِـرِ الأحْـلام.

الرؤيا

(مقاطع)

عَيْـنُ مَـنْ هَـذِهِ التـي لا تَنَـامُ؟ هِـيَ عَيــنٌ، ضَيَاؤُهَـا الآثـامُ!

* *

آلَمَتْـهُ ذِكْـرى، فَتـاهَ وَفـي عَيْـ ـنَيْهِ مِـنْ أمْسِـهِ الأثيـمِ حُطَـامُ
حَـاوَلَ النَـومَ غَيـرَ أنَ طُيُوفـاً جَـاوَرَتْ عَيْنَـهُ وَفِيهَـا انْتِقـامُ
فَنَبَـا عَــنْ فِراشِــهِ كَأَثيــمٍ أَيقَظَتْـهُ مِــنْ نَومِــهِ الأحْـلامُ
إنَ عَيــنَ الأثيــمِ جُـرْحٌ عَمِيـقٌ قَــذِرُ الجَانِبَيــنِ، لا يَلتَــامُ

* *

وتَـرَاءتْ لَـهُ مَجَـاري الـوَادي كَسَــريرٍ يَغيــمُ فــي الأَبْعَــادِ
فَبَكَــى ذَاكِــراً عُذُوبَــةَ مَاضِيـ ـــهِ وَحُبّــاً مَضَــى مَــعَ الأوْرادِ
قَـالَ: "مَـا حَلّ بِاللّيالي الخَوالي؟ كَيـفَ عَاثَـتْ بِهَـا يَـدُ الجَلّادِ؟"
وَتَلـوّى يَصِيـحُ: "وَيْـحَ َضميـري لَيْسَ هـذا الجلّادُ إلاّ فُؤادي!"
طَرَحَتْكَ السَّماءُ عَـنْ قَلْـبِ غَلْـوا ءَ كَفَـرْعٍ رِجْـسٍ مِـنَ الأجْسـادِ

خَائِــنَ الحُــبُّ إنَّ حُبّــكَ دُونٌ فَاحتَجِبْ فِيهِ عَنْ عُيُونِ العِبَادِ
ثُــمّ سَــادَتْ سَــكينَةٌ وتَــوارَتْ جُزُرُ النُّورِ فـي الفَضَـاء الرّمَادي

* *

مُـزِجَ النُّـورُ بالدّجَـى حَيـنَ خَطّ الـ ـفَجُر فـي صَفْحَةِ السّـماءِ رُسُـومَهْ
كَضَمِيـرِ الأَثيـمِ يَشْـمَلُهُ الصَفْـ ـحُ وتَبْقـى مِـنْ وَخْـزِهِ جُرْثُومَـهْ
فأَطَلَّـتْ غَلْـواءُ مِـنْ كُـوّةِ الخَـدْ رِ وفـي نَفْسِـهَا شَـجُونٌ عَظِيمَـهْ
قَالَـتْ: "الفَجْرُ شَـاحِبٌ مِثْلُ وَجْهي وَأَليـمٌ سَـاهٍ كَنَفْسـي الأليمَـهْ
أَيّهـا العُمْـرُ، كَـمْ تَعُـدّ صَبَاحـاً بَعْدُ لي... فـي أَيَامِكَ المَحْطُومَهْ؟"

القاذورة

حلمــتُ بدنيــا - ليتَهــا لا تَبــدّدُ ... لذائـذُ أحلامـي، ولا كان لـي غـدُ
أضـنّ بإنشـادي علـى الناسِ سـحرَها ... وهـل فـي الوَرى أُذنٌ إذا قمتُ أُنشـدُ؟
وأُوقظـتُ مذعـوراً إلـى شـرّ هاجسٍ ... كأنــيَ روح، فــي جُثــامٍ، مُشــرَّدُ
نُفيـقُ مـن الحلـم الشـهيّ إلـى رؤىً ... كوابيــس فــي يقظاتنــا تتســرّدُ
فألفيـتُ دنيـا مـن فواجعِهـا الـورى ... علـى بابهـا، لـوحٌ مـن الـرقّ أسـودُ
قـرأتُ عليـه أحرفـاً خطّهـا اللظـى ... يَروعـك منهـا اثنـان: "سـجنٌ مؤبـدُ"
فطوّفـتُ فـي عمْرٍ مـن الليـل والخنـا ... يعربـد، والأرجـاس تُرغـي وتُزبـدُ
وللحَمَــأ الغالــي نشــيشٌ ورغــوةٌ ... كأنّ الــورى مســتنقعٌ يتنهّــدُ

وأغمدتُ في صُلبِ الدجنّةِ ناظري ... وفي كلّ جفنٍ لي من الهدبِ مبردُ

فأبصرتُ أطباقاً تُعمّدها يدٌ ... أصابع من عظمٍ، وتصبغُها يدُ

صباغٌ يفور الخزيُ منه ملاصقاً ... إذا عَلِقَت فيها النواظُر تجمدُ

وشاهدتُ في الأطباقِ مفسدةَ الورى ... تمورُ بها الديدانُ سكرى تعربدُ

مقاذرُ تمشي في الحياةِ طروبةً ... تغنّي، وأصداءُ القبور تُردّدُ

همُ الناسُ في الدنيا تهاويلُ حُنِّطَتْ ... بكيتُ عليهم في جحيمي، وعَيّدوا

وما هذه الدّنيا، يذرّى رمادُها ... لريح الفنا، إلا جحيمٌ مرمّدُ

تلاشَت به النيرانُ، غير بقيّةٍ ... تشبّ، لها في شهوةِ الطينِ موقدُ

* *

ففـي طبـق، مسـتنقعٌ فـي صقيعِـهِ نمــتْ حشــراتٌ فاجــراتٌ تَوَقَّــدُ

* *

وداعاً، عـذارى الحُبّ، في خِيَم الهوى جمالُـكِ محظـور، وعدنـكِ موصَـدُ

فقدتُـكِ حتـى فـي أغانـيَ مزهـري وكان لشــعري منــكِ مــا يتجــوَّدُ

ألا أَغلقي الفـردوس في وجه شـاعر يضــمّ طنابيــر الجحيــم ويُنشــدُ

لئـن تـكُ نـارُ البغـضِ تَلْظـى بعينـه ففــي قلبِــه النــوّار للحُــبّ مــزودُ

يحــسّ فراديــس الحيــاة بروحــه وليــس يــرى إلا جحيمــاً يهــدّدُ

كما يَثبتُ الصفصافُ في عاصفِ الدُجى وللأفْـقِ وجـه هابـط الغيـمِ أربَـدُ

وللريـح فـي الغابـاتِ زعـق، كأنه صدى الجنّ في وادي الجحيـم يزغـردُ

كذلك يبقى، في دجى النفس، ثابتاً جمالٌ، له في قبّةِ النفس فرقدُ

* *

وفي طبق، وادٍ تكدَّرَ ماؤه فلا عشبةٌ تنمو ولا غصنَ يُنْقَدُ
ولا تسمعُ الأرواح في شعفاته خليّاً يغني أو هزاراً يُغرِّدُ
فثمّة جرذانٌ ترى النورَ آفة فتؤثِرُ أوجارَ الظلامِ وتلبدُ
ملوكٌ يقاضون النفوسَ إلى السما ويَنهي بأيديهم ضميرٌ مدوّدُ
على فمِهم سفرُ السماواتِ مُشْرَعٌ وفي روحهم سيفُ الجحيم مُجرّدُ
إذا ما لحاهم مؤمنٌ، فهو فاجر وإن ندّ من أغلالهم، فهو ملحدُ
وثَمَّ خفافيشٌ، مواليدُ بؤرة إذا غارَ فيها سيّدٌ، بان سيّدُ

سلاطينُ حُفَّتْ بالسياطِ عروشُهُم ... فسيّدهم - هولَ الصعاليك - مجْلدُ

ترى منهُمُ العاتي يَقيء نخاعَه ... صباغاً على شسع الغزاة ويسجدُ

وثَمَّ جراداتٌ عطاشٌ غوارث ... ينكّرها وهجُ الجناحِ فتمردُ

محبّرة الأردان، مفجوعة الحشا ... توابيت يطليها لُجين وعسجدُ

لها في مقاصير السماء مطامحٌ ... وليس لها في مسلك الجوّ مقْودُ

تفرّش فيه وُقَّحُ الوَهّ والسما ... لأنسرها، لا للصراصير، مصعدُ

قياصرةٌ عُور الملاحم، زُيّفت ... يواقيت في تيجانهم وزمرّدُ

مجانينُ تستافُ البلى من خيالهم ... يُناط بهم، من نسلِ عبقرَ، سؤددُ

مواليـدُ فـردوسٍ أراغـوا نفوسَـهم ... فلـم يبـقَ للوجـدانِ فيهـنّ مولـدُ
عذيـرُكَ مـن نـور الفراديـسَ عبقـرُ ... ومغنـاكَ فـي متـنِ السـماكِ مشـيّدُ
وتُشـعل فـي عينيـكَ نـارٌ نقيّـة ... بمَقدسِـها طيـف السـماءِ مجسّـدُ
وصدغُـكَ مدهـونٌ بزيـت مطهّـر ... وبالبلسـم الشـافي هـواكَ مضمّـدُ
رأيتكَ تمشي فـي المساخر شاعراً ... وتاجُـك محطـوم عليـك، مكمّـدُ
وروحُـكَ ممسـوخ، ونـورك ذاهـلٌ ... وشِـعرُكَ بالغـلّ الدنـيء مصفّـدُ
وشـاهدتُ أَشـباحَ السـماءِ كئيبـةً ... عليـك، بأسـواط الأراجيـف تُطـرَدُ
ففيـمَ أَزغـتَ النفسَ عـن نهج قدسها ... فصارت مغاراً سافلاً وهي معبدُ؟

هذه الكائنات

هذه الكائناتُ بادَت سراعاً قصَفَتْها المنون قصفَ الغصونِ

سائلِ الكتبَ والتواريخَ عنها واقرإِ الخبرَ في سجلِّ القرونِ

ليسَ عمرُ الإنسانِ غير منامٍ تتمشّى أَشباحُه في العيونِ

لولاكِ

وكأننـــي فـــي عينِهـــا لَهَـــبٌ بفؤادِهـــا الولهـــانِ، مُتّصِـــلُ
يبـــدو رمـــاداً حيـــن تلحظنـــا عيـــنٌ، وحيـــنَ تغيـــبُ يشـــتَعلُ
يـا خيـرَ مَـن حنَّـتْ لهـا مُهَـجٌ وأحـبَّ مَـن غَزَلَـتْ لهـا مُقَـلُ
أَفرغْـتِ عِطَـرِكِ فـي دمـي، فعلى شِـعري، عبيـرٌ منـكِ منهمـلُ
لـولاكِ جـفَّ الشِّعُر فـي كَبِدي وحييـــتُ لا حـــبٌّ ولا أمـــلُ!

دعيني أموت

دَعينـــيَ أَنـــدبُ كالثـــاكِلِ فلســتُ ســوى عاشــقٍ راحــلِ
حملتُ الهوى في فؤادي الضعيفِ فأثقـلَ حمـلُ الهـوى كاهلـي
دعينـــي أَمـــوتُ فـــإنَّ الزمـــان تـــردَّدَ فـــي قلبـــيَ الناحـــلِ
وإِنَّ الدقائـــقَ قـــد أَســـرَعَت بصـدريَ فـي سيرِها العاجـلِ
دعينـــي أَمـــوتُ فإنـــي فتـــىً تحمَّلـتُ فـوق قـوى الحامـلِ
قطعتُ هضابَ الحياةِ صغيراً وصـرتُ قريبـاً مـن السـاحلِ
دعينـــي أَمـــوتُ ولا تنثـــري دموعـاً علـى هيـكلٍ خامـلِ
فدمعُ الهوى من بناتِ الخلودِ فـــلا تهرقيـــهِ علـــى زائـــلِ
دعيني أموتُ فحظّي التعيس هـــوى مـــع كوكبِـــهِ الآفـــلِ
دعيني أَموتُ فصخر رجائي تحطّمُـــه موجـــةُ الباطـــلِ!
ومـــا كنـــتُ أؤمّلُـــهُ ســـابقاً خُدعـتُ بـه خدعـةَ الجاهـلِ

لا ترحم

الليلُ في صدري بدا يُظلمُ ... لا كوكبٌ فيه ولا أنجُمُ

يعثُر قلبي، هائماً في الدّجى، ... بأعظُمِ الصدرِ، فلا يسلمُ

إن يكُن ظمآناً فما من دمٍ ... جفَّت عروقي ليس فيها دمُ

وإن يكُن جاعَ فلا مأكلٌ ... يغذوهُ إلاَّ ذلك العلقمُ

يشقى ولا يعلمُ ماذا به ... يذوبُ كالشمعِ، ولا يعلمُ

ورغمَ هذا عند مرأَى الهوى ... يُقدم كالنمرِ ولا يُحجمُ

طوائفُ الجنِّ تراءَت له ... فخافَ منها الحلكُ الأَدهمُ

واتَّخذَتْ في جنبه مسكناً ... تُفشي إليه الويلَ، لا تكتمُ

لمَّا رآهُ حبُّه، قال لي ... هذا عظيمٌ، قلتُ بل أَعظمُ

قالَ: وأَين العدل؟ قلتُ: انثنى ... من هذه الدنيا فلا يقدُمُ

قال: عجيبٌ، ليس من راحمٍ ... وأَين سلمى؟ قلتُ: لا ترحمُ!

الحزن والجمال

ما الَّذي أَوجَبَ اِكتِئابُكِ حَتّى ... صارَ رَمزُ الجَمالِ رَمزاً حَزينا

أَظلَمَ الحُزنُ في عُيونِك نوراً ... كانَ بِالأَمسِ فتنَةَ الناظِرينا

أَينَ ذاكَ الجَمالُ؟ أَين جَبينٌ ... ما أَرانا من قَبلُ هذه الغُضونا؟

أَوَلَيسَت هذي الغُضونُ رُموزاً ... لَم تَزَل في الفُؤادِ سِرّاً دَفينا؟

خَفِّفي اليَومَ وَطءَ مَشيِكِ كيلا ... يُصبِحَ المَشيُ نَقلَة الراقِصينا

ما تَعَوَّدتِ غَير مَشي دَلالٍ ... كُنتِ حَتّى الهَوى بِهِ تَخدَعينا

خَفِّفي المَشيَ إنَّ في التُربِ قَلباً ... رَجعَ اليَومَ بعد إثمِكِ طينا

لا تَصيخي لِلحُبِّ وَامشي عَلَيهِ ... لَيسَ عَهدُ الغَرامِ إلّا جُنونا

لا تَصيخي إلى الضَميرِ إذا ما ... قالَ يَوماً عِبارَةَ المُشفِقينا

قَد أَهَنتِ الحَياةَ بَعدَ عليٍّ ... فَاستَحي اليَومَ لا تُهيني المنونا

إنزَعي الحليَ عَنكِ وَاستبدليها ... بِقُيودٍ أَحَقّ بِالسافِكينا

هذِهِ الحِلْيُ من دِماءِ عَلِيٍّ ... كَيفَ تُبقينَها وَلا تَخجلينا؟

يا بلادي

يا بلادي لكِ قلبي لكِ آمالي وحُبّي

وجهادي

يا بلادي!

* *

أنتِ هذا العطرُ يأتي

من فمِ الوادي مع الصبحِ الطري

أنتِ كلُّ الحُسنِ، أنتِ

نظرةُ الله إلى القلبِ البَري

وعيونُ الكوثرِ

وسريرُ الأعصرِ

وجلالُ الخُلدِ بادِ

يا بلادي!

قالتِ الدنيا: جَبيني لم يكن لو لم تكوني

* *

أنتِ كالفجرِ فتيَّهْ

أنتِ كالشَّمْسِ غنيَّهْ

لم يَهُنْ في راحتَيْكِ الذَّهَبُ

يأخذُ الشِعرُ رَويّهْ

منك والحكمةَ، فيكِ الأَدَبُ

طهّري اليومَ دمي

وغداً كوني فمي

يَسْترِحْ فيكِ رمَادي

يا بلادي!

العمرُ قصرٌ

العُمرُ قَصرٌ نَحنُ بَينَ رِحابِهِ وَالمَوتُ مُنتَصِبٌ عَلى أَبوابِهِ

وَالمَرءُ إِن يَفخَر بِأَنسابٍ لَهُ فَالتُرقُ وَالديدانُ من أَنسابِهِ

ما الجِسمُ في هذا الوُجودِ سِوى بَلىً تَمشي العُصورُ عَلى أَديمِ تُرابِهِ

مِن عَهدِ آدَمَ وَالضَريحُ مُهَيّأ وَجَميعُ هذا الخَلقِ رَهنُ طِلابِهِ

كُلٌّ يُغَيِّبُهُ الزَمانُ إِلى الهبا وَكَذا الزَمانُ يَحينُ يَومُ غِيابِهِ

وَالكائِناتُ لَدى الرَدى أُلعوبَةٌ حَتّى الخُلودُ يَصيرُ من أَلعابِهِ

ما مُذهبُ الدَهرِيُّ ذا لكنَّما هو مذهب العَقلِ الحَكيمِ النابِهِ

كَم مِن عُصورٍ قَبلَ آدم أَدبَرَت وَمَضى بِها النِسيانُ عِندَ إِيابِهِ

سعادُ

سعادُ، كلانا في المَحَبَّةِ شاعِرٌ إِذا ما هَوَينا فَالشَواعِرُ ثابِتَهْ
وَلكِنَّ فرقاً بَينَنا وَهوَ أَنَّني أُعَبِّرُ عَنها بَينَما أَنتِ ساكِتَهْ
فَدَمعي شِعرٌ يقرأونَ سطورَه وَدمعُك أَبياتٌ من الشِعرِ صامِتَهْ

مركز القلب

رَن رَن أَلـو مركـزَ القَلـ ب قَلـب ذاكَ الوَجيـعِ
أَلا يَـزالُ مُقيمـاً ما بَيـنَ تِلـكَ الضُلـوعِ
رن رَن أَلـو لـي حَديـثٌ مَـع الفُـؤادِ طَويـلُ
رَحَلـتُ عَنـهُ زَمانـاً حَتّـى بَلانـي الرَحيـلُ
وَجِئـتُ أَشـكو إِلَيـهِ سَـقمي وَذَرفَ دُموعـي
رن رَن أَلـو ذاكَ صـوتٌ سَـمِعتُه مِـن قَديـمِ
تُـرى أَصَـوتُ عَذابـي تَـرودُ فيـهِ هُمومـي

أَم تِلـكَ أَسـرابُ حُبّـي قَـد آذَنـت بِالرجـوعِ
مـاذا تُريـدُ وَمَـن أَنـ ـتَ يـا أَليـفَ البُـكاءِ
أَمـا اِكتَفَيـتُ شَـقاءً حَتّـى تَزيـدَ شَـقائي
أَزعَجـتَ حلمـيَ لمّـا أَفَقتَنـي مـن هُجوعـي
لَقَـد شَـعَرتُ بِأَنّـي أَمـسُّ ذِكـرى قَديمَـهْ
ذِكـرى الشُـجونِ وَكانَـت فـي جانِبَـيَّ مُقيمَـهْ

أيُّها الظلم

أَيُّها الظلمُ وَالخَنا وَالغُرورُ يـا خَداعـاً تَعـفُّ عَنـهُ الشـرورُ
يا كُنوداً وَيا محاباةَ قَومي يـا صُـدوراً يَـدُبُّ فيهـا النفـورُ
يا خِصاماً يا مُنكرات بِلادي يـا رِيـاءً يـا حِطّـةً يـا فُجـورُ
إِقربي ما اِستَطَعتِ من كُبرِ نَفسي أَنا صدري رحبٌ وَقَلبي كَبيرُ
لِيَ نَفسٌ كَالبَحرِ ذات اتِّساع فَلُبـابٌ يُلقـى بِهـا وَقشـورُ
تَبصقُ الرجس عَن عفاف وَطهر وَاللآلـي تَبقـى بِهـا فَتَغـورُ
لا يغرَّنكَ أَنَّني مُستَكنٌ فَإِلـى ثَـورَةٍ سُـكوتي يُشـيرُ
وَاِستَريبي إِذا سَمِعتِ زَفيري إِنَّ في صَدريَ الزَفيرَ زَئيرُ
إِقرَبي إِقرَبي فَآلامُ نَفسي جمـرَةٌ يسـتَطيرُ مِنهـا السَـعيرُ

جَمرَةٌ في بُركانِها تَتَلَظّى شاخِصاتٌ إِلى لَظاها الدهورُ
يا بِلادي كَفاكِ هزءاً بِنَفسي إِنَّ نَفسي حسامُكِ المَطرورُ
لا تَقولي قَد أَحرَقَتها البَلايا كلُّ نَفسٍ لَم تَحتَرِق لا تُنيرُ
أُترُكيني أُنشد أَغانِيَ حُبّي أَنا بِالحُبِّ وَالأَغاني فَخورُ
إِنَّ شعري أَبقى من التاجِ عمراً ذلِكَ التاج لِلزَوالِ يَصيرُ
كَم أَميرٍ وَكَم مَليكٍ تَوارى وَطَوَته دُجنَّةٌ وَقبورُ
وَالمَعَرّي الضَرير ما زالَ حَيّاً وَفَقيراً كانَ المَعرّي الضريرُ
يا نفوساً تَطَوَّرَ البَأسُ فيها أَينَ يَأوي حُسامُكِ المَشهورُ؟
لَيسَ يُجدي حِلمٌ وَلا اللينُ يُجدي لِنُفوسٍ شعارُها التدميرُ

خُلقَ المجدُ لِلقَديرِ فَجدّوا لا ينالُ الرقيَّ إِلّا القَديرُ

وَردوا العِلمَ إِنَّ العِلمِ نورٌ وَانفُضوا الجَهلَ لَيسَ في الجَهلِ نورُ

هذهِ التُربَةُ التي أَنشَأَتكُم عاثَ فيها مسوَّدٌ مَأجورُ

فَانفُضوها فَفي ثُراها نُضارٌ وَغِناكُم نُضارُها المَذخورُ

ما نُجيبُ الأَبناءَ إِن سَأَلونا أَيَّ أَرضٍ أَنَرتُمُ يا بُدورُ؟

أَيَّ عارٍ خَلَّفتُمُ لِفِراخٍ رغب الذلُّ فيهِم يا نسورُ؟

أَنُطيقُ الحيا وَنَحن شُيوخٌ شَرفٌ في صُدورِنا وَشعورُ

عُجَّزٌ لا نَصيرَ يَدفَعُ عَنّا ما نُقاسي ما لِلذُنوبِ نَصيرُ

اَيُّها الفَجر يا سِراجَ البَرايا عَجَباً مِنكَ كلَّ يَوم تَزورُ!

كَيفَ لم تَسأمِ الوجودَ المحابي أَتُــرى أَنــتَ مِثلَــهُ شَــرّيرُ

أَيَّ يَوم زُيوت نورِك تَخبو وَعَلى سُنَّةِ الضِياءِ تَثورُ
وَتَزجُّ الوجودَ في ظُلُماتٍ مُستَبَدٌّ في بُردِها الديجورُ
إِنَّ هذا الوُجودَ أَمسى مُسِنّاً وَشَقِيّاً أَمسى الوُجودُ الخَطيرُ
رثَّ فيهِ خُلق الرجال وَرَثّت نَزَواتُ العُلى وَرَثَّ الضميرُ
لَيسَ فيهِ إِلّا خداعٌ وَزورٌ وَبليّاتِهِ خداعٌ وَزورُ
خَلَّفَ التيسُ فِيَّ ليثاً هَصوراً وَيحَ تيسٍ يُنامُ عَنهُ الهصورُ
عَبثاً نرتَجي الصِيانَةَ ما لَم تَتَمَزَّق عَن الرِياءِ الستورُ
قَد أَقَمنا عَلى الجَهالَة عَهداً وَعلى الجَهلِ لا يُقيمُ البَصيرُ
أَوَلَسنا وَرّاثَ أَقدَم مجدٍ في يَدينا صَليلُهُ وَالصريرُ؟
أَوَلَسنا وَرّاثَ شَعبٍ أُنيرَت بِتَعاليمُه الهداةِ العصورُ؟

الطير السجين

مـــاذا تُسَـــرُّ إِلـــى القمـــرْ يـــا أَيُّهـــا الطَيـــرُ السَـــجينْ
هَـل أَنـتَ مِثلـي فـي السَـهرْ تَشـــكو عَذابَـــكَ لِلسِّـــنينْ
أَم تَشـتَكي ظُلـمَ البَشَـر
فـي قَلبِـكِ العانـي الكَسـيرْ سِـــرٌّ تَـــوارى فـــي الدُجـــى
وَحَواجِـزُ القَفـصِ الصَغيـرْ قَـــد أَطفَـــأَت نـــورَ الرَجـــا
لَمّـا غَـدَوتَ بِـهِ أَسـيرْ
قَـــد كُنـــتَ حُـــرّاً مُطلَقـــا فـــي جَـوِّكَ الصافـي الوَسـيعْ
تَشـــدو هِيامَـــك شَـــيِّقا لِأَريـــجِ زَهـــرِكَ فـــي الرَبيـــعْ
وَتَـــؤُمُّ غُصنـــاً مورِقـــا
قُـل مـا تُسَـرُّ إِلـى الظـلامْ وَالزَهـــرُ فيـــهِ ســـامِعهْ

وَالقَــومُ كلُّهُــم نِيــامْ حَتّــى الطَبيعَــةُ هاجِعَــهْ
حَتّى فُؤادي المُستَهامْ
أَســألتهُ مــاذا يَــرى فــي ذلِــكَ الغــاب الكَثيــفْ
وَعَلى الهِضابِ وَفي الذَرى وَهنــاك فــي الحَقــلِ اللَطيــفْ
حَيــثُ النَســيمُ تكوثــرا؟
أَســأَلتهُ هَــل باقِيَــهْ تِلــكَ النَضــارَةُ فــي الحُقــولْ
وَمِيــاه تِلــكَ الســاقيَهْ وَرســوم هاتيــك الطلــولْ
وَزُهــور تِلــكَ الرابِيَــهْ؟
وَرِفــاق ســاعاتي العِــذابْ ســمّار قَلبــي الشَــيّقِ
هَــل أَصبَحــت قَيــدَ العَذابْ فــي مِثــلِ سِــجني الضَيّــقِ

أَم لا تَـزالُ عَلـى الهِضـابْ؟

أَسَــأَلتهُ عَــن طائِــرِ فــي كُلِّ لَيــلٍ أَو صَبــاحْ
فَــوقَ النَسـيمِ السـائِرِ حَمـلَ الطَعـامَ عَلـى الجنـاحْ

وَأَتــى بِــهِ لِأَصاغِــرِ؟

تِلــكَ الصغــار شَــقائِقُ لَـكَ يـا شَـبيهي فـي المحـنْ
أَنــتَ الأَسـيرُ الخافِـقُ كَخفـوقِ قَلبـي فــي البَـدنْ

وَالفَــرقُ أَنّــي عاشِــقُ

يــا طَيــرُ إِنَّــك فــي الأَلَـمْ رَمــزٌ لِهــذا المرقــمِ
يبكــي وَينحــبُ بِالنَغَــمْ وَبِمَدمَــعٍ مــن عَنــدمِ

وَفُـؤاد ظالِمِـه أَصَـمْ

فَطُيــورِ عِشِّــكَ تَرقــدُ حَتّــى يُفاجِئَهــا الصبــاحْ
وَلَــدُن تَفيــقُ تغــرَّدُ

يــا طَيــرُ مــا تَســتَنظِرُ فــي الحَقــلِ وَاليَــوم الشــتاءْ
أَتُــراكَ لا تَستأســرُ وَلَــو أَنَّ عِنــدَك مــا تَشــاءْ
وَتُحِــبُّ مَــن يَتَحَــرَّرُ

وَلمــا تَــرى أَبقــى لَنــا مــن ريــش حُســنِك جانِحــاكْ
أَلكــي يذكّرنــا الغِنــا ءَ لَعَلَّنــا نبكــي غنــاك
وَلعَلَّنــا وَلَعَلَّنــا

يــا طَيــرُ إِنَّــكَ صــادِقُ وَالمَــرءُ غَــدّارٌ كَــذوبْ

بلغَتْ بهم الحدَّة

لَقَـد بَلَغَـت بِهِـم الحِـدَّهْ فَمـن أَيّنـا نَطلُـب النَجـدَهْ
أَلَسـتَ تَراهُـم أُولـي غَضبَـةٍ يَعيثـونَ بِالوَيـلِ فـي البَلـدَهْ
فَـكُلٌّ يَـرى نَفسَـهُ سَـيِّداً وَكلٌّ يَـرى نَفسَـهُ عُمـدَهْ
إِذا مـا تَرَبَّـعَ فـي جَهلِـهِ عَلـى مَقعَـدٍ خالَـهُ سُـدَّهْ
كَريمُهُـم كَاللَئيـمِ بِهِـم فَمـا فاضِـلٌ سَـيِّدٌ عبـدَهْ
أَضاعـوا الرشادَ وَما نَفعُ مَن أَضـاعَ بِثَورَتِـهِ رُشـدَهْ
يَقولـونَ نَحـنَ عمـادُ البِـلادِ وَمـا هيـأوا لِلوَفـا عُـدَّهْ
كَأَنَّ البِـلادَ لَـدى حاجَـةٍ إِلـى كـذبٍ وَإِلـى إِدَّهْ
وَرُبَّ كَبيـرٍ بِلبـنانِـهِ يَعفِّـرُ فـي حَمـأةٍ خَـدّهْ

تُـرى عِنـدَهُ خَدمـاً وَقصـوراً وَلَسـتَ تَـرى شَـرفاً عِنـدَهْ
يَتيـهِ اِفتِخـاراً بِأَجـدادِهِ كَأَنَّ الـوَرى جَهِلـوا جَـدَّهْ
يُحـاوِلُ إِخفـاءَ مـا يَنطَـوي عَلَيـهِ فَتَفضَحُـهُ السَـجدَهْ
ذَليـلٌ وَفـي بُـردِهِ الكِبرِيـاءُ فَيـا لَيـتَ مـا لَبِـسَ البُـردَهْ
وَيـا لَيـتَ مَـن وَلـدت طَرحَتـهُ وَلمّـا تُدنِّـس بِـهِ مَهـدَهْ
وَلكِنَّهـا قِـردَةٌ وَلَدَتـهُ أَلا تَلِـدُ القِـردَ القِـردَهْ
بَنـي وَطَنـي نَحـنُ فـي حاجَـةٍ إِلـى نُصَـراءَ أَولـي شِـدَّهْ
يضحّـونَ بِالأَنفُـسِ الغالِيـاتِ لِأَجـلِ التَضامُـن وَالوحـدَهْ
وَفـي سُـبُلِ الحَـقِّ يَأتَلِفـون وَيَعتَنِقـون الحِجـى وَحـدَهْ

إذا أُشكِلَت عقدةٌ في البِلادِ خَفّوا لحلِّ ذهِ العِقدَهْ
إلا مَ تَظلون في رَقدَةٍ وَلا تُبعَثونَ من الرَقدَهْ؟
إذا قامَ بَينَكُم مُصلِحٌ يَقومُ جَميعُكُم ضِدَّهْ
فَلا تَدعوا ظُفُرَ المستَبِدِّ يحكُّ لِلبنانِكُم جِلدَهْ
وَصيحوا بِهِ: رُدَّ ما قَد سَرَقتَ لنا خُلُقاً رُدَّهْ
هدَمتَ لَنا صَرحَ أَخلاقِنا فَأَينَ تَبيتُ تُرى بَعدَهْ
وَشَيَّدتَ مَعبِدَ إِفكٍ فَهُدَّ أَساسَ مشيّدِهِ هُدَّهْ
لَقَد رثَّ ثَوبٌ خَلَعتَ عَلَينا وَنَحن نَميلُ إِلى الجِدَّهْ
فَعَهدُ الغُموضِ مَضى وَتَصَدّى لَهُ عَهدُنا ناقِضاً عَهدَهْ

لَقَد حانَ أَن يُصلِتَ النورُ حدّاً كَما اِستَلَّ سَيفُ الدجى حَدَّهْ
لَقَد كادَ يصدَأُ في غِمدِهِ حُسامٌ يَرى قَبرَهُ غَمدَهْ
هَديتُ رِفاقي إِلى موردي فَضلَّوا وَما طَلَبوا وِردَهْ
وَما موردي العذبُ إِلا السلامُ يُذيبُ لِشارِبهِ كِيدَهْ
رِفاقي وَإِن فَرَّقَتنا الخطوبُ سَيَحفَظُ قَلبي لَكم حَمدَهْ
سيرشُقُكُم بِالأَزاهِرِ مَهما نكَرتُم عَلى ودِّه ودَّهْ
سَيَذكُرُكُم بِالجَميلِ إِذا ما نَأى وَأَرادَ القَضا بُعدَهْ
سَيَصفَحُ عَن كُلِّ أَشواكِكُم فَشوكَتُكُم عِندَهُ وَردَهْ

هذه الدنيا سآمة

هـذِهِ الدنيـا سَـآمَهْ تَعـبٌ فيهـا الإِقامَـهْ
جَحـد العاتـي فَلَمّـا يُبـقِ لـي فيهـا كَرامَـهْ
لَيـسَ عَـن ضُعـفٍ قُعـودي عَنـهُ لكِـن عَـن شَـهامَهْ
لـيَ نَفـسٌ عَلَّمَتنـي كَيـفَ أَسـتَزري لِئامَـهْ
لـيَ آدابٌ أَراهـا فَـوقَ خَـدّ العِلـمِ شـامَهْ
وَيـراعٌ يـتَمَنّـى الـ ـفَجرُ لَـو كانَ اِبتِسـامَهْ
يُعـرَفُ النـذلُ وَلَـو حَـطّ عَلـى الـرأسِ عَمامَـهْ
كُلُّ نَـذلٍ مُستَبـدٍّ فـي مُحَيّـاهُ عَلامَـهْ
لَـم أُحـارِبهُ بِسَـيف بَـل بِصِـدقٍ وَاِسـتِقامَهْ
إِن أُفَضِّـل صفعَـه بِالـ ـنَعلِ أَنصِفـه مُقامَـهْ

شريعة الأيام

كلُّ سَعدٍ يُبنى عَلى شَقوَةِ الغَيـ ـــرِ، فَهـذي شَـريعَةُ الأَيّـامِ
أُنظُرِ الشَمسَ كَيفَ صارَت نَهاراً حينَ وارَت نِصف الوَرى في الظَلامِ

اِنْفِ عنك الأحزان

إِنْـفِ عَنـكَ الأَحـزانَ وَالحَسراتِ مُعرِضـاً عَـن وَجهَيهِمـا التوأَمَيـن
وَتَنعَّــم مُجاهِــداً فــي الحَيــاةِ لا يَمُــرُّ الصِبــا بِهــا مَرَّتَيــن

أيُّها القلب

أَيُّها القَلبُ مُت فَخَيرٌ وَأَبقى ... لَكَ مَوتٌ يَقيكَ شرَّ العِبادِ

إِن تَكُن طاهِراً فَحَسبُكَ ما لا ... قيتَ في الكَونِ مِن عَظيمِ الفَسادِ

ما ترجّي وَقد شَعَرت بِأَنَّ الـ ... مكرَ يَثوي حَتّى بِقَلبِ سعادِ

يا فُؤادي خَيرٌ لِجِسمي حَياةٌ ... في شَقاها تَبقى بِدونِ فُؤادِ



إلياس أبو شبكة

سيرة وأعمال

1903 - ولادته في «بروفيدانس» في الولايات المتحدة الأميركية، في أثناء رحلة لوالديه: والده يوسف، ووالدته نائلة الشهبا.

1904 - عودة الوالدين مع الصبي إلى لبنان وإلى زوق مكايل.

1911 - بداية تعليمه في مدرسة القديس يوسف في عينطورة.

1912 - مصرع أبيه على أيدي لصوص، وهو يقوم برحلة تجارية بين بور سعيد والخرطوم.

1914 - الحرب العالمية الأولى وإقفال المدارس.

1918 - عودته إلى الدراسة، في مدرسة الإخوة المريميين - جونيه.

1920 - من جديد في مدرسة القديس يوسف في عينطورة.

1922 - انقطاعه عن الدراسة وانتقاله إلى العمل، وبداية نشره مقالات في الصحف.

1922 - خطوبته من أولغا ساروفيم.

1926 - صدور «القيثارة»: أول دواوينه الشعرية.

1927 -التدريس في: اليسوعية - المقاصد الإسلامية - الفرير - عينطورة.

1928 - قصيدة "المريض الصامت".

1929 - صدور كتابه «تاريخ نابوليون بونابرت».

1930 - إنشاء عصبة العشرة.

1931 - زواجه من أولغا ساروفيم.

1931 - صدور كتاب الرسوم. مقالته وقصيدته: «عصاي السوداء».

1934 - نشاطات صحافية في عدة مجلّات وجرائد (المعرض، الجمهور، المكشوف، الأديب، العاصفة).

1938 - صدور ديوان «أفاعي الفردوس».

1939 - الحرب العالمية الثانية.

1940 - ظهور الأعراض الأولى لمرضه.

1941 - صدور ديوان «الألحان».

1943 - صدور كتاب «روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة».

1944 - صدور ديوان: «نداء القلب».

1945 - صدور ديوان: إلى الأبد».

1945 - صدور ديوان: «غلواء».

1946 - إصابته بسرطان الدم ومكوثه لشهر في المستشفى.

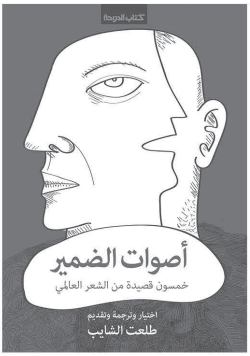
1947 - وفاته في السابع والعشرين من شهر كانون الثاني (يناير).

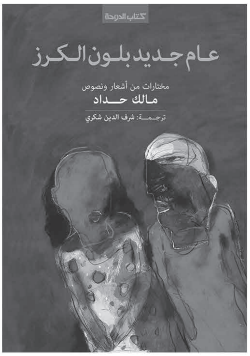
صدر في سلسلة كتاب الدوحة

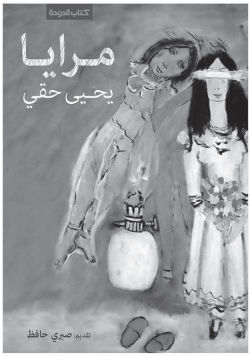
1	طبائع الاستبداد	عبد الرحمن الكواكبي
2	برقوق نيسان	غسان كنفاني
3	الأئمة الأربعة	سليمان فياض
4	الفصول الأربعة	عمر فاخوري
5	الإسلام وأصول الحكم - بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام	علي عبدالرازق
6	شروط النهضة	مالك بن نبيّ
7	صلاح جاهين - أمير شعراء العامية	محمد بغدادي
8	نداء الحياة - مختارات شعرية - الخيال الشعري عند العرب	أبو القاسم الشابي
9	حرية الفكر وأبطالها في التاريخ	سلامة موسى
10	الغربال	ميخائيل نعيمة
11	الإسلام بين العلم والمدنية	الشيخ محمد عبده
12	أصوات الشاعر المترجم - مختارات من قصائده وترجماته	بدر شاكر السياب
	• فتنة الحكاية جون أيديك - سينثيا أوزيك - جيل ماكوركل - باتريشيا هامبل	ترجمة: غادة حلواني
13	امرأتنا في الشريعة والمجتمع	الطاهر الحداد
14	الشيخان	طه حسين
15	ورد أكثر - مختارات شعرية ونثرية	محمود درويش
16	يوميات نائب في الأرياف	توفيق الحكيم
17	عبقرية عمر	عباس محمود العقاد
18	عبقرية الصدّيق	عباس محمود العقاد
19	رحلتان إلى اليابان	علي أحمد الجرجاوي/صبري حافظ
20	لطائف السمر في سكان الزُّهرة والقمر او (الغاية في البداءة والنهاية)	ميخائيل الصقال
21	ثورة الأدب	د. محمد حسين هيكل
22	في مديح الحدود	ريجيس دوبريه
23	الكتابات السياسية	الإمام محمد عبده
24	نحو فكر مغاير	عبد الكبير الخطيبي
25	تاريخ علم الأدب	روحي الخالدي
26	عبقرية خالد	عباس محمود العقاد
27	أصوات الضمير	خمسون قصيدة من الشعر العالمي
28	مرايا يحيى حقي	يحيى حقي
29	عبقرية محمد	عباس محمود العقاد
30	عبدالله العروي من التاريخ إلى الحب	حوار أجراه محمد الداهي
31	فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية	
32	عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حداد)	ترجمة: شرف الدين شكري
33	سِراج الرُّعاة (حوارات مع كُتاب عالميّين)	خالد النجار
34	مقالة في العبودية المختارة (إيتيان دي لابويسيه)	ترجمة: مصطفى صفوان
35	عن سيرتَي ابن بطوطة وابن خلدون	د.بنسالم حِمّيش
36	حي بن يقظان - تحقيق: أحمد أمين	ابن طفيل
37	الإصبع الصغيرة - ترجمة: د.عبدالرحمن بوعلي	ميشال سار
38	محمد إقبال - مختارات شعرية	محمد إقبال
39	تزفيتان تودوروف (تأمُّلات في الحضارة، والديموقراطية، والغيرية)	ترجمة: محمد الجرطي
40	نماذج بشرية	أحمد رضا حوحو
41	الشرق الفنان	د.زكي نجيب محمود
42	تشيخوف - رسائل إلى العائلة	ترجمة: ياسر شعبان

صدر في سلسلة كتاب الدوحة

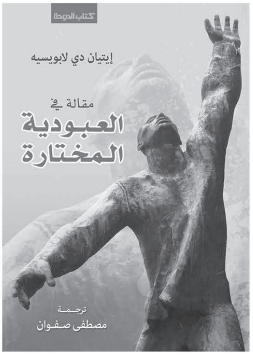












يمكنكم تصفح النسخة الإلكترونية من كافة إصدارات السلسلة
على موقع مجلة الدوحة الإلكتروني **www.aldohamagazine.com**



إلياس أبو شبكة
العصفور الصغير
مختارات شعرية

ربَّما أجمل ما في هذا الشاعر الأنوف والمتجهّم والناقم إلى حدّ كبير والمتمرّد والمعترض والنزق والمنفعل والمتوتّر هو وجهه الآخر، وجهه المختلف الذي طالما توارى في دخيلته، وجه الشاعر الرقيق والضعيف والمؤمن والطفل والحالم والمعترف بآثامه. ولم يكن تناقض أبو شبكة مفتعَلاً ولا مصطنَعاً، بل مثَّل تناقضه حقيقة روحه وجوهر تجربته.

وزارة الثقافة والفنون والتراث
الدوحة - قطر
www.aldohamagazine.com